



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة-



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي
شعبة: لغة وأدب عربي
تخصص: أدب قديم

بين المقدمة الطللية والمقدمة الخمرية في الشعر الجاهلي دراسة موازنة

بحث مقدم لقسم اللغة و الأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر تخصص أدب قديم

إشراف الأستاذة:
ايملوي حكيمة

إعداد الطالب: سعيدي فارس

أعضاء لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
رواق حورية	أستاذ محاضر - أ-	عباس لغرور - خنشلة-	رئيسا
ايملوي حكيمة	أستاذ مساعد - أ-	عباس لغرور - خنشلة-	مشرفا و مقرا
حجازي كريمة	أستاذ مساعد - أ-	عباس لغرور - خنشلة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016-2017

مقدمة:

يمثل الشعر الجاهلي النموذج الذي يحتذى به في نظم القصائد، فقد كان وما يزال منبعاً ثرياً، يحمل في طياته الكثير من الإحياءات الفنية، التي لا يمكن حصرها في جانب واحد. وهو ما لفت انتباه الدارسين إلى الخوض في غماره لاكتشاف عالمه وخبائمه، ومن ثمة الكشف عن مواطن الجمال وأساليب البيان، وذلك من خلال ما تحمله النصوص الشعرية من مقدمات طلبية أو خميرية... الخ، وخاصة لاعتبار أن مقدمة القصيدة آنذاك هي قانون سائر على جميع الشعراء، فهي تأمل عميق بمجريات الحياة المتضادة، والتي أثارت الإحساس بالقلق في نفس الشاعر الجاهلي، لاسيما أن بيئته كانت ملهته لدرجة انصهاره بها، وتعلق تضاريسها بذاكرته، يُحملها رموزاً مكانية، أينما حل وارتحل، وكلما تعمق إحساسه بالديار، التي كانت مسرحاً لشبابه ومرتعاً لفنونه، اتضحت هويتها في حياته، وعلى ذكر المقدمات القصائد هناك المقدمة الخميرية والمقدمة الطلبية.

إن مقصد القصيدة ابتداءً بذكر الديار والدمن، فبكى وشكى وخاطب الربيع واستوقف الرفيق ليُجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها، كما أن إلقاء التحية على الطلل الباقي في هذه الوقفة، تندرج في نسق إحياء الماضي الجميل المهشم الذي دمره الزمن، فقد أفاض عليه بالتحية الصباحية لما لها من دلالة على ربوع الطلل كما تلقى في العادة على الأحياء بعد ليلة يخبو فيها كل أثر للحياة.

لقد غادر الطلل الأحبة واعترت جوانبه الوحشة، حينما أيقن الشاعر حقيقة نفسه من خلال الطلل فقد اجتاحتهم الهموم والمحن، لذلك راح يتساءل كيف يمكن لحالته النفسية المنكسرة أن تهناً بلحظات المتعة؟، ما لذي يستشعر تلك اللحظات، لابد أن يكون قلبه خال من الأحزان، وعقله صاف غير مشغول بهموم فرضتها عليه الظروف.

إن المشهد **الطللي** نص أزلي خالد، يرتبط فناؤه بفناء البشرية كافة، ولكل زمان طلله، فالذي يحدث أن **الطلل** يتجدد ويتلون بجملة من المعطيات البيئية، والفكرية، والنفسية، والجمالية... الخ.

نجد أن الشاعر الجاهلي قد كرس أكثر جهده الفني في **المقدمة الطللية**، ليرسم هذا الزخم النفسي المتأزم من لحظة الحاضر المكتتزة لمعالم التشويه والتغيير، بعد إذ غدت مظاهر خارجية قاسية تعبر في وجهها الآخر عن حقيقة القلق والحيرة التي تمتلك حال الشاعر وإحساسه بنهاية المطاف، وأن مصيره هو نفس مصير هذا القحط والتشويه الذي أصاب معالم الحياة في **طلله**، وذكريات شبابه، يتردد يقينا في كل بيت من أبيات المقدمة، أن هذا **الطلل** هو صورة من صور الرثاء والبكاء، على ذاته وشبابه، قبل أن يكون رثاء أو بكاء على **طلل**، لذا باتت المقدمة الجاهلية تحمل هذا النحيب الموجه وسط صور وأشكال بكائية حزينة تردد أناشيد رثائية وتوديعية، لتولد القصيدة ترددا وهي مشبعة في أولى خطواتها بهذا التحسس من التضاد الكبير بين الموت والحياة، وبين الفناء والبقاء، وبين اليأس والأمل، ومن هنا نتلمس وفق رؤية فنية وجمالية، انزياح حديث الشاعر عن **الطلل** إلى الحديث عن حاله ومصيره، فهو وحده يعيش هذا الفقر العاطفي المستمر جراء افتقاده لمن يحب، وتلاشي مظاهر الأانس أمام عقبات مصيره الغامض المحتوم الذي يشمل جانبا من جوانب حياته الماضية، وعلى ذكر **المقدمة الطللية** هناك **المقدمة الخمرية** السابق ذكرها التي هي الأخرى نجدها في الكثير من الشعر، يلجأ الشاعر إليها للتعبير عن إحساسه المشرق إزاء الوجود، وامتلائه المفعم، بدواعي السعادة والانتشاء، فالأوقات التي كان يمضيها في قعدات احتساء شرب الخمرة رفقة ندمائه المقربين كانت سيولة زمنية تفيض بالحياتية، والإحساس بالسعادة ضمن رؤية وجودية شاملة توشح بمجريات حياة الشاعر، وتسم الواقع البيئي العام بملاح الإخصاب، والتقاؤل، فعادة شرب الخمر لدى الشاعر علاوة على أنها ملمح من ملامح البذخ والرفاهية، وإبراز الرجولة والسخاء، فإنها في الوقت ذاته محطة أساسية يسترجع

فيها أنفاسه، للتعلم بمباهج الحياة من أبوابها الواسعة، تلك اللحظات التي يعيشها متحمسا ديبب الخمرة، وهي تلعب بلبه وانتقاله إلى عالم آخر، حيث أنهم جعلوها مهبطا، لإلهامهم، وسلما، لإبداعهم ومجالا لأرائهم، فالخمرة والشعر شريكان في نظرهم من حيث تهيئة الجو الذي هو السكر والنشوة، فهو يعوض من ضنى العيش إلى البهجة، وهرب من الذات المتعبة إلى حذر الشعور، وفي هذه الحالة تحدث عملية انفصال بين الشاعر والواقع من حوله من هذا الانفصال له أهمية من حيث ما يحقق له من خلق وإبداع تتحرر فيه النفس من كل قيود السيطرة، والالتزام لمراكز الوعي في ذات الشاعر، وهو دائما ما يرغب أن يحققه لكي يهرب من واقعه المرفوض إلى عالمه الخاص.

فالشعر **الخمري**، شعر لهو وترف، شاع في معظم العصور وتلمس النشوات فيه شعراء كثر، فالخمرة بالنسبة لهم تنسيهم لحظتهم الحاضرة المؤلمة المليئة بالأحزان، وتخلق لهم دنيا جديدة هم فيها أكثر سعادة، وحضورا و تحقق لهم ما يصبون إليه في عالم اليقظة، فالخمرة تنقلهم من صورة الواقع الخشن، إلى عالم من الخيال، يحقق لهم حضورا أبهى وأجمل، من واقعه المعاش، هذا ما سنوضحه في مقدمات القصيدة العربية القديمة، متمثلين في المقدمة **الطللية والخمرية**، التي تعددت فيها صيغ الافتتاح والوقوف والبكاء، وغيرهما من الأساليب الفنية التي جرى الشاعر الجاهلي عليها عرفا وتقليدا فنيا.

وعليه يتبادر إلى الذهن الإشكال التالي: ما سر الكينونة في هاتين المقدمتين؟.

و ما هي أسباب ودوافع وجودهما في القصيدة القديمة؟ و ما هي المنطلقات والمعاني

التي عالجت هاتين المقدمتين؟ وفيما تتجلى كل من نقاط الاختلاف والتشابه بينهما؟.

وقد امتزجت دوافع اختيار هذا الموضوع بين الذاتية والموضوعية، الأولى: فهي الميول

إلى الشعر القديم باعتباره فن العرب، والمكون الأساسي لتراثهم الأدبي، كما دفعني الشوق

والفضول إلى معرفة الكثير عن حقائق موضوع الطلل والخمرة، كموضوعين مهمين جال

بهما الشاعر القديم في شعره. أما الثاني، فتمثل في محاولة تقديم موازنة تحاول أن تفك

عناصر الإبداع الشعري، وبعده الجمالي، وما تحمله القصيدة من إحياءات ودلالات فنية متصلة بهذا الموضوع.

ولبلوغ ما نهدف إليه، اعتمدت على المنهج الوصفي الذي يتخلله التحليل كإجراء، متخذاً من التراث العربي - مادتي الخام - فرحلت إلى العصر الجاهلي محلاً للمقدمة الطللية، والمقدمة الخمرية، وبعدها أقمت موازنتي بينهما، ليأتي عنوان بحثي كالتالي: بين المقدمة الطللية والخمرية في الشعر الجاهلي - دراسة موازنة-".

ومن أجل تحقيق تلك الغاية قسمت بحثي إلى: فصلين ومدخل مُصدر بمقدمة ومتبوع بخاتمة.

مدخل: حاولت التسلط الضوء فيه على تحديد مصطلح المقدمة الطللية والخمرية في الشعر الجاهلي، مع موقف وآراء النقاد والأدباء منهما.

أما الفصل الأول: فتناولت فيه كل من المقدمة الطللية والخمرية في الشعر الجاهلي، مواضيعهما ومعانيهما، وأنواعهما، مع أبرز شعرائهما، وخصائص ومميزات كل منهما.

غير أن الفصل الثاني (التطبيقي): اتجه مضمونه قمت بموازنة بين كل من المقدمة الطللية والخمرية مع إبراز أوجه الاختلاف، والتشابه، وخاتمة جامعة لأهم النتائج المتوصل لها خلال البحث.

كما أن هذه الدراسة ما كان لها أن تكتمل فصولها دون أن تستند على مجموعة من المصادر والمراجع، أذكر منها:

حمد مهداوي، جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم.

رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي.

منذر ذيب كفاقي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية.

حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي.

وفي أثناء البحث جابهتنا صعاب عدة من بينها: افتقار موضوعنا لدراسة سابقة من الناحية التطبيقية، وكذلك ضيق الوقت.

وختاما لا يسعني إلا أن أحمد الله عز وجل على عونه، كما أتوجه بجزيل الشكر للمشرفة الكريمة، أستاذتي الفاضلة " إملولي حكيمة" التي رسمت لي طريق النجاح، وعلمتني أن البداية كفاح والنهاية نجاح، والتي أهدتني وأرشدتني بكل توجيهاتها، كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى لجنة المناقشة التي سهرت على البحث تمحيصا وتقويما، كما أتقدم بتحية تقدير للطاقم الجامعي، وخاصة كلية الآداب واللغات، من أساتذة وإداريون، وطلبة.

مدخل:

نستهل في قولنا بمفهوم الشعر فهو قول يعبر به الشاعر عن كل ما يختلج في نفسه، وقد يكون الشعر إما مدحا أو غزلا أو رثاء، ولكن مايجب في الشعر هو أن تكون لديه قوانين وشروط يجب احترامها ومراعاتها والتقيد بهذه القوانين، التي تتمثل في المقدمة والعرض والخاتمة، فالشعر ظهر في القديم، وهو أن يكون الشاعر يعبر عن الطبيعة التي يعيش فيها، ويصف الناقة والرحلة وذكر الحبيبة، فكان كل شاعر لابد عليه أن يوظف هذه الأطلال في مقدمته، حتى أصبحت المقدمة عند شعراء الجاهلية تعرف بالمقدمة الطللية وهي بمثابة شرط وقانون يجب أن يكون سائدا في الشعر، فقد اعتمد عليها جل الشعراء ولم يهملوها في قصائدهم، والمقدمة الطللية: هي النقاب عن المعاني العميقة التي تستتر خلف دلالات اللفظ والمفردات التي استخدمها الشاعر¹ أي أن المقدمة الطللية هي التي تبحث عن الجذور والكشف عن الحقائق بشكل واسع ومعرق عن دلالات الألفاظ التي يستخدمها الشاعر في مقدمته للتعبير عن موقفه ووجوده في تلك الطبيعة.

وكما تعرف المقدمة الطللية على أنها أكثر أهمية بين المقدمات، ودليلنا على ذلك أنها شغلت النقاد والدارسين والباحثين قديما وحديثا، وحاول كل فريق أن يفسرها ويسوّغ رأيه² أي أن المقدمة الطللية كانت ركيزة وأساس في القصيدة العربية الجاهلية، فقد اهتم بها

¹ أحمد رعد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، الطبعة 2، دمشق، 2009، ص: 87
² منذر ذيب كفاقي، في الشعر الجاهلي، في كتاب المختارات الشعرية، الأردن، 2006، ص: 219

الباحثين والنقاد اهتماما كبيرا، بحيث كل واحد منهم يعطيها تفسيرات وتأويلات مختلفة، فهي تمثل العنصر الرئيسي في القصيدة.

الطلل عند القدماء

لقد شكل نص ابن قتيبة الذي قال فيه وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد ، إنما فيها يذكر الديار والزمن والآثار ، فبكى وشكا وخاطب الربيع واستوقف الرفيق ليُجعل ذلك سببا لذكر أهلها الضاعين عنها¹.

بمعنى أن الشاعر يذكر الديار وما أصابها من تغيير، فيبكي على ذلك الزمن الذهبي الذي عاشه، فيعبر عن آلامه مخاطب الربيع، فيستوقف الرفيق ويجعله سبيلا لذكر الحبيبة.

الطلل عند المحدثين

انطلق د.يوسف خليف من فرضية رأى أنها محور الطلل في القصيدة الجاهلية، مع تنويعات شكلية تكشف عن نوع التحولات الفنية في نمط هذا الطلل².

أي أن الموضوع الرئيسي والأساسي في القصيدة الجاهلية هو الطلل والبكاء على فراق الأحبة والأهل.

¹ حسن مسكين ، الخطاب الشعري الجاهلي ، رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة 1، بيروت ، لبنان ، 2005،

ص: 23

² المرجع نفسه ص: 26

فوجد حسين عطوان، هو أكثر من أكد على عودة الشاعر في اللحظة الطللية إلى الذكريات ومواطن الشباب والهوى، هربا من لحظة واقع كان يعاني من وطأتها فيقول في ذلك: إن المقدمة الطللية لاتعد أن تكون تجربة ذاتية وضربا من الذكريات والحنين إلى الماضي والنزاع إليه¹ فوجد هنا أن الدكتور حسين عطوان هو المروج بأن الشاعر دائما يعود إلى الماضي الذي عاشه، بحيث يتذكر أيام طفولته التي عاشها في ذلك المكان، وتذكر الحبيبة والديار، وقد كان يفخر بباديته التي بالنسبة له أعلى من كل شيء، بالإضافة إلى ذلك هو الهروب من الواقع الذي يعيشه، فيعتبره واقع مرّ وصعب لأنه يواجه صعوبات الحياة، ويتذكر الأيام الماضية التي تتمثل في الدمن والديار، فالمقدمة الطللية جعلها الشاعر فضاء للتعبير عن كل المكبوتات والآلام التي يعاني منها الشاعر الجاهلي، أي أن حالته النفسية كانت مرهقة ومؤلمة.

بجانب المقدمة الطللية نذكر المقدمة الخمرية التي كانت هي أيضا كانت سائدة في الشعر الجاهلي، فقد كان الشاعر يتحلى ويتذوق الخمر، مما يجعله شجاعا وقويا ومفتخرا بشربها، إذ نجد الكثير من الشعراء قد وظفوا الخمر في قصائدهم ومن أمثال ذلك نجد عنتره في قوله:

هتاك غايات التجار ملوم²

ربذ يداه بالقداح إذ أشتا

¹ أحمد رعد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، الطبعة 2، دمشق، 2009، ص: 89

² المرجع السابق ص: 201

فهنا نجد عنبرة يفتخر بالخمير و اشاربه ، فهو يصف الخمر وصفا دقيقا ورفيعا ، فيجعله في قمة الوصف وكذلك مدحه لتاجر الخمر، اضافة إلى ذلك نذكر امرؤ القيس الذي يُقَرُّ بأن شرب الخمر يدل على الشجاعة والإفتخار إذ يقول:

لا تسقني الخمر إن لم يروا فئاماً بأبي الفاضل¹

فهو يعبر عن الرجل الشجاع في الحروب والقاتل للكثير من الأعداء، هو ذلك الرجل الذي يشرب الخمر، وكأنه يساعده ويعطيه القوة في الحروب، فالعرب كانت قبل البدء في الحروب لابد عليهم أن يشربوا الكثير من الخمر للفوز فيها.

وهنا نبين المعلقة العشر ومطلع كل قصيدة:

1-مطلع معلقة الاعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل و هل تطيق وداعاً أيها الرجل

2-مطلع معلقه امرئ ألقيس:

فَأَنْبِكِ مِنْ نِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بَسِطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْ مَل

3-مطلع معلقه الحارث بن زحلة:

أَدْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ

4-مطلع معلقة طرفه بن العبد:

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ نَهْمِدِ تَلُوْحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

¹ المصدر نفسه

5-مطلع معلقه عيد بن الأبرص:

أقفر من أهله ملحوبٌ فالقطيبات فالذنوبُ

6-مطلع معلقه عمرو بن كلثوم:

ألا هُبِّي بصحنِكِ فاصْبِحينا وَلَا تُبْقِي خُمورَ الأندرينا

7-مطلع معلقه زهير بن أبي سلمى:

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَتَلِّمِ

8-مطلع معلقه عنتره بن شداد:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ

9-مطلع معلقة النابغة الذبياني:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلِياءِ فالسَّنْدَ أَقْوَتَ وطَالَ عليها سالفُ الأبدِ

10-مطلع معلقة لبيد بن ربيعة العامري:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنَى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا.

مطالع المقدمات هي من أشهر ما كتب العرب في الشعر وقد سمية معلقات لأنها مثل

العقود النفيسة تعلق بالأذهان، ويقال أن هذه القصائد كانت تكتب بماء الذهب وتعلق على

أستار الكعبة قبل مجيء الإسلام، وتعتبر هذه القصائد من أروع وأنفس ما قيل في الشعر

العربي القديم.

فيمكننا القول بان هذه المعلقة العشر بمثابة القوانين والمرتكزات في الشعر العربي القديم، لذا كانت لها مكانة عظيمة ودليل ذلك أنها كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة.

بناء القصيدة العربية الجاهلية:

عرفت القصيدة العربية الجاهلية بنظام وبناء محدد ، التزم به الشعراء الجاهليون ونظموا عليه أشعارهم ، حتى أضحت هذا النظام سنة يسير عليها كل الشعراء ومن غير المؤلف مخالفتها.

وقد قسم حازم القرطاجني - أنماط الشعر العربي وأشكاله إلى قسمين: قصائد ومقطوعات ، ثم ميز بين القصيدة المركبة والقصيدة البسيطة المستقلة بموضوع واحد ، يقول: >> والقصائد منها بسيطة الأغراض ومنها مركبة ، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صرفا ، أو رثاء صرفا ، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين ، مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومدح ، وهذا أشد موافقة للنفوس الصحيحة الأذواق ، لما ذكرناه من ولع النفوس بالإفتان في أنحاء الكلام وأنواع القصائد <<¹

فالقصيدة الجاهلية اتخذت شكلين مختلفين :

¹ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص: 303

1-بناء فخم : تضم فيه القصيدة عدة وحدات : الطلل ، النسيب ، ذكر الأحبة ، وصف
الفرس أو الناقة أو الفخر ، وفي الأخير الموعظة والحكمة ، وهذا ما يجعل القصيدة
ضمن هذا البناء تمتاز بالطول .

2-بناء عادي بسيط: يعبر فيه الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره تجاه الحياة والكون بشكل
عفوي وصريح ، غير أنه بالقيود الثقافية والإجتماعية للعصر ، فهذا البناء يشكل
قصيدة يغلب عليها عنصر الوقع .

1-المقدمة الظلية:

هي جزء من ماضي الشاعر ، يثير في نفسه الشوق والحنين ، فيقف على الأطلال
والديار ، يتأملها باكيا إياها.

يقول عروة بن الورد¹

عفت بعدنا أم حسان غضور وفي الرحيل منها آية لا تتغير

وبالغز والغراء منها منازل وحول الصفا ، منها أهلها متدور

يتحدث الشاعر عن محبوبته أو زوجته ، شاكيا ألم الفراق والبعد ، متذكرا أيام الوصال في
جو يملؤه الرضا والجمال ، فهو لم يعد ينزل غضور بعد فراقها ، إذ أن هذه المنازل بعد
غيابها لم يبق منها إلا آثارها وعلاماتها ثابتة لاتتغير

¹ عروة بن الورد ، الديوان ، ص: 71

2-المقدمة الغزلية:

هي جزء من المقدمة الطللية ، فالمقدمة الطللية تدور حول أطلال المحبوبة ، أما الغزلية فموضوعها المحبوبة نفسها ، وهي - أي المقدمة الغزلية - عادة تدور حول موضوعين:

(أ) وصف الحبيبة وصفا حسيا أو معنويا ، متغنيا بجمالها الجسدي أو النفسي

(ب) تصوير عواطف الشاعر من شوق ، حب ، لوعة . . . إلخ.

إن الحديث عن المرأة كان حاضرا أغلب الأحيان عند معظم الشعراء ، إلا أنه متفاوتا ، فمنهم من وصفوا جمال المرأة وصفا معنويا بأنها عفيفة اللسان ذات جمال وأدب ، ذات كرم ، مبتدعين بهذا عن المفاتن الحسية الجسدية ، على خلاف بعض شعراء القبائل الذين عرضوا لوصفها حسيا ، فتراهم يصفون لونها بالبياض ، عينيها وشعرها بالسواد ، أسنانها باللمعان ، وغيرها من الصفات الحسية فهاهو الشنفرى في تائيته يصف زوجته وصفا معنويا فيقول:

لقد أعجبتني لاسقوفا قناعها إذا ما مشت ، ولا بذات تلفت

تبيت ، بعيد النوم تهدي غبوقها لجارتها إذا الهدية قلت

تحل بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمة حُلت¹

¹ الشنفرى ، الديوان ، ص: 31-32

إن زوجة الشنفرى، امرأة كريمة، عفيفة، شديدة الحياء، لا تكثر التلفت لأن هذا من الأدب، وهي لشدة كرمها تهدي جارتها شرابا في وقت يقل فيه الطعام، وفي أمس حاجتها له

وفي الناحية الأخرى نجد الأعشى يصف جمال المرأة وصفا حسيا، فيقول:¹

وهل تطيقُ وداعاً أيها الرَّجُلُ؟	ودَّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ،
تَمْشِي الهُويْنَا كما يَمْشِي الوَجِي الوَجِلُ	غَزَاءُ فَزَعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا،
مَرَّ السَّحَابَةِ ، لا رِيثٌ ولا عَجَلُ	كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا

يصف الشاعر هنا جسد محبوبته ، مظهرا مفاتنها ومحاسنها: وجهها الجميل ، شعرها الطويل ، أسنانها المصقولة اللامعة ...إلخ.

3-الرحلة:

ذكر الرحلة من تقاليد وعناصر بناء القصيدة الجاهلية الهامة ، فهي الركن الثاني بعد المقدمة، وقد حرص الشعراء ذكرها وإيلائها أهمية بالغة، إذ أن الشاعر الجاهلي عندما يرتحل على ناقته، فقد يذكر محبوبته التي ارتحلت مع القبيلة إلى موطن بعيد، فيقوم بذكرها بألم وحسرة، وخيبة الأمل على فراق المحبوبة، والتي هي أعز ما يملك.

¹ الأعشى ، الديوان ، شرح يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1992 ، ص:218

4-الخاتمة:

إن كان لمطلع القصيدة ومقدمتها دور وأهمية في بناء القصيدة الجاهلية ، فإن لخاتمتها أهمية لا تقل عن ذلك ، لأنها قفل القصيدة وآخر ما يبقى منها.

يقول يوسف بكار: >> لقد أطلقوا على الخاتمة اصطلاح (المقطع) بالسامع والمخاطب ، لأن الخاتمة في غرضهم قاعدة القصيدة>>¹

ومن خلال الإجابة في القفل والإختتام نميز أفضل الشعراء وأجود القصائد

يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1982 ، ص: 229¹

المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي:

تمثل المقدمة الطللية الركيزة الأساسية في الشعر الجاهلي، فالشعراء يعتمدون عليها للتعبير عن أحاسيسهم ومعاناتهم، فلا بد من كل شاعر أن يلتزم بها في شعره « ساهم شعراء العصر الجاهلي في تكوين ذوق أدبي عام استقر في الأذهان، وأجبر الشاعر بعد ذلك على مراعاته واتباعه في ما ينظمه، أيا كان الغرض الذي يسعى إلى تحقيقه من قصيدته»¹ فالمقدمة الطللية كانت بمثابة قانون لزم على كل شاعر قديم تطبيقه فهي مجموعة مراحل لا بد من المرور بها قبل الخوض في غمار موضوعه.

« ففي المطلع نجد أن الشاعر يبدو مرتحلا على جملة أو ناقته مع رفيق أو رفيقين، فيسلمه الطريق إلى مضرب خيام قبيلة محبوبته التي ارتحلت مع القبيلة إلى موطن بعيد، مخلفة أطلال خيامها لفتح ببعض الآثار التي تدل على حياة ساكنيها»²، هنا نجد الشاعر عند مروره بالأطلال هاته الآثار التي تذكره بحبيبه الراحلة، فيذكر تلك الأيام السعيدة التي قضاه مع محبوبته، تلك الديار، فيوحش وسيتوحش تلك الذكريات الغابرة التي مرت بسرعة البرق، ويتمنى رجوعها ولو للحظات فقد تركت بداخله جرحا عميقا لا يشفى منه سريعا، «وعلى ذكر المحبوبة يذكر الشاعر أيضا ارتحاله و طوافه، بعد ذلك يستجمع قواه ويتابع رحلته، منتهزا الفرصة ليصف بدقة وبراعة راحلته فلا تفوته حتى الجزئيات البسيطة،

1 - حمد مهراوي، جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم، مقارنة تحليلية خمرية، حسان في فتح، وبردة كعب بن زهير في مدح الرسول-أنموذجين - ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص 9.

2 - المرجع نفسه، ص 9.

أصلها وفصلها، ثم يقوده الوصف إلى الموازنة بينها وبين الحمار الوحشي، أو النعامة أو المهاة أو غيرها مما قد يصادفه في سفره»¹، فالشاعر خلال رحلته، قد يلفت انتباهه حيوان فيقوم بوصفه، أو يعجب بمنظر طبيعي جميل أخذ تأمله، بعد كل هذا يصل إلى الغرض الرئيسي من القصيدة، فهذا هو المنهج الذي يبدأ معظم شعراء العصر الجاهلي قصائدهم.

«ويبدو أن أول من بكى واستبكى ووقف على الأطلال، هو امرؤ القيس الذي سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب، واتبعه فيها الشعراء منها استوقف صحبه والبكاء على الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ و تشبيه النساء بالضباء ... وأن أول من أجاد في التشبيه، واستدل ذلك في مطلع قصيدته يقول فيها»²:

« قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل *** بسقط اللوى بين الدخول فحومل.

فالمقدمة الطللية لم تكن تعبيراً بحثاً يعالج مشكلة جزئية في حياتهم بقدر ما كانت تعبيراً عن مشاكل كبرى وقفت بمغن النظر أمام سر الحياة و تعلن استنكارها المستمر»³.

فالوقوف على الطلل يعد كرمز لتجربة حزينة، فاشلة توجت بالفراق واعتراها الحزن، فهو يجد في الطلل راحة وتنفيس عن مشاعر حبيسة، فهو في حالة استنكار و تأمله لتلك الديار ينفصل عن واقعه المعيشي لينتقل إلى ماضيه الذي كان يشعر فيه بالأمان من جهة،

1 - المرجع نفسه، ص9.

2 - امرؤ القيس شاعر المرأة و الطبيعة، إيليا الحاوي، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1970، ص 63.

3 - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، دار الينابيع، دمشق، ط2، 2008، ص 92.

ويربطه بحبيبته الراحلة من جهة أخرى، فعاطفته الشاعرة هنا قوية تدفع به إلى الاشتياق والحنين القوي إلى الاستقرار والعودة إلى المكان الذي يطمئن فيه نفسه ويشعره بالارتياح

« وحينما نتأمل مقدمة القصيدة تأملا عميقا لمجريات الحياة المتضادة، والتي أثارت الإحساس بالقلق في نفس الشاعر الجاهلي أمام هذا الجريان الكبير والمستمر في بيئته الزمانية عبر الفضاء الأيام والجريان المستمر في المكانية متمثلا بالارتحال المتواصل من مكان إلى آخر»¹.

إذن من هنا يمكن القول أن رحيل الشعراء الجاهلين من مكان إلى آخر، ومن قبيلة إلى أخرى يعد هذا الأخير سببا لمعاناة الشاعر سواء رحيله هو أم حبيبته، فهي رحلة متضادة بين يأس وأمل، حيث يفقد الأمل في الرجوع إلى حبه، و القدرة على إيجاد محبوبته، والأمل في عودتها واسترجاع حبه الضائع وأيامها السعيدة التي قضاياها معا.

فرحلة المحبوب أو الحبيبة تعد من بين الأسباب التي تجعله يتمسك بالماضي ويود الرجوع إليه عن طريق إيجاد حبيبته المفقودة التي حرم منها، فالمرأة هنا والمتمثلة بالحبيبة هي العامل الأساس إثارة عواطف الشاعر واهتمامه بالديار والطلل بديلا عن الحبيبة المرتحلة، هذا يعكس أو يشير إلى الحرمان الذي يعانيه الشاعر الجاهلي أمام المرأة، فالمرأة في قصائده هي بديلا لذلك الحرمان.

¹ - المرجع نفسه، ص92.

« فقد تعددت مواضيع المقدمة الطللية حسب كل شاعر وموضوعه فالشاعر عند ذكره للطلل نجد أنه يقصد الحبيبة، أو الأهل والأقارب، أو المكان الذي يقيم فيه و يخلد ذكرياته ويسترجع صباه، بعد المقدمة الطللية ووقوف الشاعر بالديار، ينتقل الشاعر في قصيدته إلى وصف الرحلة، ووصف الناقة (الراحلة) بكل تفاصيلها، شكلها، سيرها، سرعتها... كذلك وصفه لأماكن مر بها، أو حيوان معين وقع نظره عليه ويصف كذلك من المناظر الخلابة جميلة من مياه، وأشجار، واخضرار،...يمثل هذا المنهج الذي سلكه معظم الشعراء الجاهلين، ثم يفترون بعد ذلك كل حسب هواه.

ولقد تعددت معاني المقدمة الطللية واختلفت، وأخذت مناحي متعددة فهناك من يرى بأنها لجوء الشاعر إلى الماضي و سحب ذكرياته التي خلفها في أيام الصبا، و ذكر الأهل تلك الديار.»¹.

هذا إن دل على شيء إنما يدل على تمسك الشاعر بتلك الذكريات السعيدة الخ تربطه بأهله أيام صغره، لأنه يجد في ماضيه ماض يشعر فيه بالسعادة وهو محيط مع أهله، كما أنه يذكر أيام شبابه هروبا من الواقع الذي يعيشه لأنه يجد في الماضي من أجمل وأحلى السنين التي مضت من حياته.

كذلك نجد ذكر الحبيبة أو ذكر الطلل مباشرة يتبادر إلينا المرأة (المحبوبة) فهي مرتبطة بالطلل فالشاعر إن لم يكن لديه حبيبته أو امرأة في حياته لما وقف واستوقف وشكى و بكى،

¹ - أحمد محمد شاكر، الشعر و الشعراء، دار المعارف، مصر، 1966، ص75.

فعلاقة المرأة بالطلل علاقة الجزء بالكل، فهي العامل الأساس في إثارة عواطف الشاعر واهتمامه بالأطلال التي غدت المثير للمقارن أو الصناعي بديلا عن الحبيبة الطاعنة المرتحلة دوما، وهي إشارة إلى الحرمان الذي يعانيه الشاعر الجاهلي أمام المرأة،¹ « كذلك يمكن القول بأن المقدمة الطللية، ناتجة عن إحساس الشاعر بالحرمان الجماعي، فهي لحظة حزن أملاها الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكاني»²، إذن فالشاعر يحن إلى بلده ووطنه الذي ولد فيه وترعرع بين ناسه وخلاته، فالشعور بالوحدة وبالبعد عن مكان نشأته ولد لديه الإحساس بالوحدة والغربة، وعدم الاستقرار فترجم هذا بكاءه على الطلل.

« كذلك فكرة الفراغ التي تعد مضمون ومحور المقدمة الطللية في المجتمع الجاهلي»³، هذا الفراغ الذي حير الشاعر وسبب له القلق أمام غلبة الدهر عليه مع كثرة تساؤلات التي أرقته في فكرة الحياة و الموت، كما أنه يصور من خلاله مقدمة الحرمان والبؤس الذي يعانيه.»

« فالطلل يعني الضياع ويرمز له، فقد كان الشعراء في غربتهم واغترابهم يلتفتون إلى شيء أثير عندهم يمكن أن يكون رمزا للضياع»⁴، إذن فالشاعر هنا عند وقوفه بالديار

1 - ينظر: رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص 96.

2 - المرجع نفسه، ص 90.

3 المرجع نفسه، ص 91.

4- المرجع نفسه، ص 92.

يحس نفسه ضائع، ومحيط بحالة أو أزمة بين الإحساس فهو ضائع بين الحاضر الذي يعيشه ، ويتشاء م منه، وبين رغبته الملحة في العودة إلى ماضيه.

« لقد تعدت معاني المقدمة الطللية ومواضيعها بحسب كل شاعر، واختلفت تفاسيرها، هذا ما أكد لنا أهميتها في القصيدة الجاهلية، التي غدت أرضاً مشتركة بين جميع الشعراء البارزين والمغمورين، فإنها مازالت تحمل الشيء الكثير من النقاش والعطاء الفني لحضورها في بناء القصيدة، أو تحملها لدلالات واسعة وعميقة لصيرورة الحياة الجاهلية»¹.

فالشاعر الجاهلي حين وقوفه على الطلل فهو بذلك يعكس الصراع الذاتي الداخلي، كما يمكن أن تعني حب مهدد دائماً برحيل الحبيبة، حب للحياة، والرغبة فيها، حرمان، بؤس، وشقاء، قلق واشتياق، ضياع، حيرة أمام الوجود، حيرة أمام الموت والحياة، المهددة بالزوال والخراب، استذكار للحظات سعيدة، الحديث عن الآثار، تعبير عن الوحشة التي تجسم الطلل، الشعور بالخوف من المستقبل، الزوال والانقراض...

« كل هذه معاني المقدمة الطللية وما ترمز إليه حسب رؤية وتجربة وواقع كل شاعر.

فاختلاف الشعراء في هذه المقدمة، أمر طبيعي، فإذا كان امرؤ القيس مثلاً ينتقل من التشبيب إلى الصيد ووصف الفرس، وطرفة بن العبد يضرب في عرض الصحراء على

¹ - المرجع نفسه، ص 96.

ظهر ناقته التي يسرف في الحديث عنها، قبل أن يلج إلى عرضه الأصلي، فإن زهير بن أبي سلمى يبدأ بالأطلال وما بقي منها من مخلفات الأحبة»¹.

هنا يكمن الاختلاف في هذه المقدمة الطللية بين شاعر وآخر يخضع لميوله وطبيعته ورغباته ونظرته إلى الموضوع، لأن الشعراء يختلفون في النظرة إلى الموضوع باختلاف زوايا نظرهم إضافة إلى الحالة النفسية والمزاجية التي يكون عليها الشاعر وقت نظمه للقصيدة.

« ففي وقت يتجسد حبه للشباب والهوى والحياة، وآخر يتجسد حزنه على انقراض الوقت وتولييه، وإحساسه بالفراق، وعدم الاستقرار، مما يجعله يخشى على حياته ونعيمه وهذه كلها عوامل تحول معنى الحياة وروضها إلى ظل مقفر موحش وتجعله موطن غربة وخراب، بعد أن كان موضع زهو وأفراح، وعلى هذا الأساس تنطوي تجربة الشاعر مع الظل على صراع بين الاستقرار والرحيل، بين الحياة والموت»².

فالمقدمة الطللية هي تجسيد مادي لأحوال النفس البشرية، فهي تجسيد مادي لأحوال النفس البشرية، فهي عبارة عن مكبوتات مكنونة في لأشعور الشاعر ممنوعة في وسطه الاجتماعي، أما بالنسبة لذكره للمرأة فهو يجسد حنينه و شعوره بحركة الحياة، فهو دائماً يجد نفسه أنه مرتبط بالمرأة باعتبارها الأنيس والونيس الذي يجدر راحته معه.

¹ - محمد مهدي، جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم، مقارنة تحليلية - خمرية حسان في فتح و بردة كعب بن زهير في مدح الرسول - أنموذجين - ص 12.

² - المرجع السابق، ص 17.

أنواع المقدمة الطللية:

1- المقدمة الغزلية:

« لم تكن المقدمة الطللية هي الوحيدة التي اهتم بها الشعراء، وإنما كان الاهتمام كذلك كثيرا نوعا ما بالمقدمة الغزلية، وهنا ننوه إلى مسألة نراها ضرورية، وهي أن الحديث عن الطلل غالبا ما يؤدي إلى الحديث عن الغزل، ولذلك لاحظنا أن كثيرا من القصائد التي تبدأ بالطلل يتخللها حديث عن المحبوبة، أو لنقل: إن الشاعر عندما يذكر الطلل فإنه يذكر المحبوبة، لذلك يقوم بوصفها، وهذا يؤكد صلة الوثيقة بين الطلل والغزل»¹.
فالمقدمة الغزلية تعد عنوانا لمجريات القصيدة في أغراضها الأخرى، ورافدا من روافد المقدمة الطللية.

« لقد تميز الغزل الشعري بخصائص وسمات عديدة تختلف عن خصائص الأغراض الشعرية الأخرى، ولعل المقدمة الغزلية هي إحدى المقدمات الطللية للقصيدة العربية التي شارك فيها الغزل دون بقية الأغراض، وأيضا تميز الغزل القديم بأنه ينطلق في قصيدته على الأغلب من أزمة الفراق، وهي أعلى نقطة في تجربة دراما الغزل»²، فكثيرا ما نجد تلك اللحظة والوقفه التي يوحي بها الإحساس الوجداني العميق عندما يستذكر لحظة الانفصال بينه وبين المحبوبة من خلال الرحيل والفراق، أو من خلال قطع العلاقة بينهما.

¹ - منذر ذيب كفاي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، دراسة في الشكل و المضمون، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2006، ص222.

² - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص151.

ويصف الشعراء في مثل هذه المقدمات الغزلية المحبوبة وصفا أكان وصفا حسيا أم معنويا، ويعبرون في الوقت نفسه عن عواطفهم ومشاعرهم تجاه من يحبون، ومثال ذلك قول سويد بن أبي كاهل حيث يبدأ قصيدته بالتغزل بمحبوبته واصفا أسنانها وريقها ووجهها المضيء المشرق، وشعرها قائلا:

« بسطت رابعةَ الحبلِ لنا *** فوصلنا الحبلَ منها ما اتسع

حُرَّةٌ تجلو شتيتًا وَاضحا *** كَشَعاعِ الشَّمسِ في الغَيمِ سَطَع

صَقَلتُهُ بِقَضيبِ ناضِر *** من أراك طيبَ حَتَّى نَصَع

أَبيضُ اللَّونِ لذيذاً طَعْمُهُ *** طيبَ الرِّيقِ إذا الرِّيقِ خَدَع

تمنحُ المرآةَ وجهاً وَاضحا *** مثل قَرْنِ الشَّمسِ في الصَّحو ارتفع

صافي اللون وطرفا ساجياً *** أَكحَلَ العَيْنينِ ما فيه قَمَع

وَقروناً سابغاً أَطرافُها *** غَللتها رِيحُ مسكِ ذي فَنَع¹.

من خلال هاته الأبيات نستشف غزل خالص للمحبوبة، وهو أمر نجده في قصائد الحب العذري، فهو قد وصف محاسنها وشكل جمالها الخارجي، فهو هنا يخلص الشاعر في قصيدته لموضوع حبيبته فقط، ومثل ذلك قول عمرو بن معد بكري يتغزل بمحبوبته ريحانة:

1 - المرجع نفسه، ص 152.

«أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ * * * يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ

كَأَنَّ الإِثْمَدَ الحَارِيَّ فِيهَا * * * يُسْفُ بِحَيْثُ تَبْتَدِرُ الدَّمُوعُ

وَأَبْكَارٍ لَهَوْتُ بِهِنَّ حِينًا * * * نَوَاعِمَ، فِي أُسْرَتِهَا الرُّدُوعُ

أُمَشِي حَوْلَهَا وَأَطُوفُ فِيهَا * * * وَتُعْجِبُنِي المَحَاجِرُ والفُرُوعُ

إِذَا يَضْحَكُنَّ أَوْ يَبْسِمُنَّ يَوْمًا * * * تَرَى بَرْدًا أَلْحَ بِهِ الصَّقِيعُ

كَأَنَّ عَلَى عَوَارِضِهِنَّ رَاحًا * * * يُفَضُّ عَلَيْهِ رُمَانٌ يَنْبِغُ

تَرَاهَا الدَّهْرُ مُقْتِرَةً كِبَاءً * * * وَتَقْدَحُ صَخْفَةً فِيهَا نَقِيعُ

وَصِبْغُ ثِيَابِهَا فِي زَعْفَرَانٍ * * * بَجْدَتِهَا كَمَا أَحْمَرَّ النَّجِيعُ.»¹

من خلال هاته الأبيات يتبين لنا أن الشعر الجاهلي كثر فيه الوصف الحسي على المعنوي، وهذا دال على أن بعض الشعراء لم تتح لهم الفرص الكافية للعيش مع من كانوا يحبونهم فيتغزلون بهن مترجمين هذا التغزل بلحظات كانوا يتشوقون لمعايشتها، إلا أن تلك اللحظات كانت مجرد لقاءات عابرة، ونظرات متبادلة من بعيد.

يتبين لنا بعد الدراسة و التطرق إلى المقدمة الغزلية، أن وجود مثل هذه المقدمات ليس بالقليل، كما أن عدد أبياتها لم يكن قصيرا كما رأينا، ويمكن تفسير ذلك القول بأن انتشار

¹ - منذر ذيب كفاي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية دراسة في الشكل و المضمون، ص224.

المقدمات الغزلية مرتبط بالواقع الاجتماعي والنفسي لكل شاعر، فهي مقدمات تحمل شحنات عاطفية قوية تدل على شخصيات أصحابها الذين استمدوا هذه الصور التي عبروا بها عن عواطفهم من واقع الصحراء، وظروف البيئة التي عاشوها، وأحبوها، وكثر حنينهم إليها¹. يمكن أن نجل القول بأن الشاعر الجاهلي تغنى بهذه الأوصاف الحسية للمرأة نتيجة الظروف والحياة الاجتماعية، ورغباته النفسية، فقد كان لجوءه إلى هذه الوسيلة يعد هروب من الماضي، يستلذ ذكرياته العذبة والغنية بمواطن الشباب والفتوة، كما يمكن رد هذه الصور الحسية تعبيراً يهرب الشاعر إليه، كرد فعل للكبت، والحرمان الذي يعيشه، وهي دليل بحثه عن مصادر إشباع للحظة الحاضر المؤلمة.

2- مقدمة الطعائن:

« وقف الشاعر الجاهلي على رحلة الطعن يتأملها ويرسم صورها، ومعالمها الزاهية، باحثاً في تأمله بالكثير من صفحات الزمن الماضي وأحداثه عن المواقف والذكريات التي يتناسب حضورها مع الوقفة الطللية، لتكون إضافة ملائمة لموقفه في استنكاره للحظة الحاضر التي أملت عليه الإحساس بالخوف و القلق من سطوة الدهر عليه»² رحلة الطعن بالنسبة للشاعر هي رحلة يجد للحظات فيها ضالته المفقودة، بمعنى بمثابة ولادة جديدة للشاعر، فهو يثير خياله وصور ذكرياته وعهود الشباب بين طيات هذه الرحلة، فهي تكسب الشاعر نوعاً من الإشراق وألوان البهجة التي تخفف من حدة الأسى والحزن، الذي أحسه

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 224.

² - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص 134.

عند ديار محبوبته وأطلالها الذي أكل عليها الدهر وشرب، « فرحلة الظعن هي امتداد سليم للبناء الفني في القصيدة الجاهلية، الذي يشكل ترتيبا تقليديا وقف عليه الشاعر الجاهلي، بل أن رحلة الظعن كما هي الأطلال، ساحة مشتركة يحرص الشعراء على الحضور الفني فيها، ولا يكاد يتخلف عنها ديوان شاعر معين، لأن ظاهرة الظعينة في الشعر الجاهلي تكاد هي الأخرى (كالطللية تماما)، أن تكون قطاعا مشتركا بين الشعراء كافة، فهي جزء من ملحمة طللية للقصيدة الجاهلية والتي تضمنت جميع أشكال الطللية الأخرى، المتمثلة في أطلال الديار وطللية الشباب ورحلة الطعائن¹. فالشعراء في مثل هذا النوع من المقدمات يصفون الطعائن وسيرها ويصفون الهودج أيضا، ويصفون المرأة في الهودج ومن ثم فإن الشاعر في كل ذلك يعبر عن حزنه، وأسفه وخيبات أمله نتيجة لهذه الرحلة، وهذا الفراق.

« وقد تكون رحلة الطغائن نوع من أنواع التشبث بالحياة والبحث عن ينابيع جديدة سعيا وراء الماء، أو قد تكون نوع من أنواع التشرذم الذي أملته طبيعة البادية وتقاليدها الاجتماعية، ولربما تكون هذه الرحلة في جانبها الفني هي رحلة إلى تلك العهود من ذكريات الصبا والشباب، التي أصبحت بعيدة عن لحظة الحاضر المعاشة، فهو يحن إلى الذكرى والهروب إلى الماضي في صورته وذكرياته، والحنين إليها، الذي سيطر على ذكرياته وصوره على مباحج لوحة الظعن»²، هذا الشعور الذاتي النابع من أعماق الشاعر يعكس حزنه على مرور الأيام بسرعة وتغير الأحوال، وشعوره بالإحباط طوال رحلته فهو

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 135.

² المرجع السابق ص: 136

محبط ومستغرب ومتعجب وحزين، كل هذا جعله الشاعر في لوحة الظغن، رحيل الأحباب، استعداد القوم للرحيل، عدم الارتواء من المحبوبة، أيام الصبا...؛ « فرحلة الظن هي ولادة طبيعية تمخضت عن اللحظة الطللية في حاضرها المؤلم، وكان هذا الإحساس الحزين بالحاضر، حث الشاعر على الهروب إلى الماضي.»¹

استمدت رحلة الظعينة موضوعها في غالب الأحيان من تفاعلها مع الزمن في لحظة حاضر حزينة، لكن سرعان ما تستولي لوحة الظغن على حضور واسترجاع للحظات الماضية.

فالشاعر علقمة الفحل يصور حال نفسه عند رحيل الأحباب، وهو مازال متعلقا بأسباب الحنين إليهم، هاربا بذكرياته إلى الوراء يتحسر على أمسه، بعد أن أصبح من الكبر عتيا:

هل ما علمت وما استودعت مكتومٌ *** أم حبلها إذ نأتك اليوم مصرومٌ

أم هل كبيرٌ بكى لم يقضِ عبرتهُ *** إثر الأحبّة يوم البينِ مشكومٌ²

فهذين البيتين يعكسان ذلك الشوق والحنين لتلك الأيام من الشباب والفتوة والإعجاب بهما، واسترجاع صباه بعد أن أدركه الكبر، فهو متعطش لتلك السنين السحيقة، فهو رد فعل لما يشعر به من قسوة المعاناة التي يعيشها في لحظة الحاضر ولوعة الاشتياق المؤلمة.

1 - المرجع نفسه، ص.136.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص 136.

« كذلك المرقش الأكبر يصف الظعن (الرحلة) ويبين وقتها وهو وقت الضحى، كما يشبه هذه الظعائن مرتين بوصفين يدلان على حجمهما الكبير، فمرة يشبهها بأشجار الدوم الضخمة القوية، ومرة أخرى بالسفينة العظيمة، ثم يصف الظعائن و مسالكها في البادية، ثم يصف الهودج التي توجد فيها النساء حيث أنها مكسوة بثياب أنيقة جميلة، فيقول:

لمن الظعن بالضحى طافيات *** شبهها الدوم أو خلايا سفين

جاعلات بطن الضباع شمالا *** وبراغ النعاف ذات اليمين

رافعات رقما تهال له العي *** ن على كل بازل مستكين.¹

بعد هذه النماذج من وقفات الشاعر على لحظة شروع الأحباب بالرحيل، ومواقف الألم والحزن التي ملأت دواخله وتغنيه بذكريات أمسه التي اتسمت بالبطولة والقوة، كذلك حضور المرأة في رحيل الظعن يكاد يستولي على ذكريات الشاعر ولحظة ماضيه فهي التي استولت على الحيز الأكبر بطولة والأكثر ذكرا، باعتبارها صورة من صور الشباب والفتوة.

3 - مقدمة بكاء الشباب:

«فنقف الآن على مقدمات شعرية التي بكى فيها الشاعر الجاهلي شبابه وعهد فتوته و صباه، وهو يرثيها بأنواع الحزن و الألم، و البكاء، ونود أن نسمي هذه المقدمات ب

¹ - منذر ذيب كفاي، الشعر الجاهلي، في كتب المختارات الشعرية، ص 225.

(طللية الشباب) تمييزا عن مقدمة الأطلال التي اختصت في وصف ديار المحبوبة والأحباب و بقايا ديارهم المتناثرة»¹.

فالمصور التي عبر بها الشاعر الجاهلي في مقدمته، حيث سجل في لحظة الحاضر حال نفسه وواقعه من حوله، وتغير أوضاعه، كما سجل في لحظة الماضي الذكريات والشباب والمغامرات التي أخذها الماضي برفقته.

« فظاهرة بكاء الشباب ستميزه في الشعر الجاهلي تميز المقدمة الطللية فيه عن باقي العصور المختلفة، والتي يبدو من خلالها أن الإنسان الجاهلي كان أكثر تأثرا وضررا أمام الطبيعة الصحراوية القاحلة، على غير ما أصبح عليه إنسان العصور الأخرى بعده»²، فقد استطاع أن يسخر الطبيعة إلى ما يخدمه ليضمن استقراره، فأراد أن يتغاضى للآثار القاسية في ذاته ويحقق حضورا لذاته أمام بقايا الديار وآثار الكبر عليه من وتجاويد وبياض شعره التي أصبحت كما هائلا من الأطلال المتشابهة مع أطلال المحبوبة الغائبة، هذا ما عكس في نفس الشاعر إحساسه بالغربة وسط هذه البيئة القاسية الظالمة.

« فقد وقف الشاعر الجاهلي في طللية الشباب، على صور وتقاليده تكاد أن تكون قريبة التشابه لدى الشعراء في ذلك العصر، فقد انعكست طللية الشاعر معاني عديدة وربما كانت الطللية بمجملها لا تحمل إلا غاية واحدة هي اغتراب الإنسان في مملكة

¹ - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص 118.

² المرجع نفسه ص: 119

الطبيعة العافية، إضافة إلى ذلك البؤس والضنى في الرحيل المستمر بحثاً عن ينبوع الحياة»¹.

فهذا الرحيل الذي حمل معاني كثيرة في قول الشاعر، وكلها شيئاً من الحزن والألم، لدرجة أننا نرى القصيدة الجاهلية أصبحت رحلة لا تعرف التوقف، فهي رحلة الشاعر على ناقته، رحيل عمره، أو رحلة حياته المليئة بالحزن والفرح.

«عند وقوفنا أمام هذه المقدمات، فإننا نرى أن نبدأ بتصوير لحظة الحاضر - الواقع - التي بدأ بها الشاعر، ومن ثم الوقوف على صور لحظة الماضي التي ذهب فيها الشاعر يصور الذكريات و يسحب الماضي بهيبته و جلاله إلى مواطن القصيدة»²؛ فالشاعر ما يقصد به في مقدمته هذه وهو يتحسر على شبابه الضائع، الاستغراب والتعجب والدهشة، من بعد الحبيبة ورحيلها إلى قبيلة أخرى، ومعالم الشيب والشيخوخة التي ألمت به، فيمكن القول في هذه الحالة أن المرأة في هذه المقدمات كانت المنطلق، الملائم الذي يجد فيه الشاعر القبول بمجريات القصيدة ومضمونها، فالمرأة بالنسبة لديه تمثل صورة من صور الحاضر المؤلم الذي دائماً يحسه بالخوف والقلق إزاء مستقبله، يقول الأعشى متعجباً من محبوبته سعاد وهربها منه بسبب الشيب والصلع:

بَانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعًا * * * واحتلتِ الغمرَ فالجدّين فالفرعا

1 - المرجع السابق، ص 119.

2 - المرجع السابق، ص 119.

وأُنكرتني وما كانَ الذي نكرتُ *** منَ الحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا.¹

فالشاعر يفسر هروب حبيبته منه، لسبب الكبر و الشيب، و مجافاتها له، فالحبيبة هنا تنتظر إليه على أنه بلغ من العمر الكبر عتيا و زاحمه الشيب وأن لا فائدة ترجى من رجل عجوز أخذ الدهر منه مأخذاً.

« كذلك في قول عمرو بن قميئة:

إن قلبي عن تكتم غير سال *** تيمتني، وما أرادت وصالني

فزعت (تكتم) وقالت عجا *** إن رأيتني تغير اليوم حالي

بابنة الخير إنما نحن رهن *** لصروف الأيام بعد الليالي»².

هكذا ذهب الشعراء في تصوير هذه الأحاسيس والمشاعر في لحظة الواقع التي انقلبت عليهم انصراف الشباب، وأحسوا بوطأة الشيب والشيخوخة اللذان سلبا منهم ريعان شبابهم وأيام فتوتهم التي كانوا يتباهون بها، والقوة التي تعد دلالة للاستعداد لمواجهة أي خطر في القبيلة.

«هذا ما كنا نريد الإشارة إليه في هذا التنظيم الذي يحمل شيئاً من الخروج على ما هو

معهود في بناء القصيدة الجاهلية التي تعودت الابتداء بالمقدمة الطللية، ومن ثم

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

² - المرجع السابق، ص 121.

الانطلاق إلى أغراض القصيدة الأخرى، ولكن هذه المخالفة تسجل حضورها كأى ظاهرة تحاول عدم الانصياع إلى القانون العام، أو ربما هي القناعة لدى الشاعر بعدم الاكتراث لهذه الخصائص التفصيلية بين مقدمة الطلل وبكاء الشباب، ورحلة الظعينة، واعتبرها أنها جميعا داخلة في المقدمة الطللية، فالمقدمة الطللية في قصيدة زهير بن أبي سلمى كانت امتداد لمقدمة بكاء الشباب التي أرادها الشاعر في قصيدته:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ *** وَعَرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

إلى أن يقول:

لِمَنْ طَلَّ كَالْوَحْيِ عَافٍ مَنَازِلُهُ *** عَفَا الرَّسُّ مِنْهُ، فَالرَّسِيْسُ، فَعَاقِلُهُ»¹.

فالحظة الطللية التي وقف عليها الشاعر هي تشخيص على أرض الواقع التي تلائمت مع مجريات الأحداث والتغيرات التي أصابت آثار الديار هذا من جهة، ومن جهة أخرى بين ما كان الشاعر وما أصبح عليه من هيئة التجاعيد في الوجه التي رسمها الدهر، ومن هنا تتداخل فاجعته، فاجعة الطلل بأهله، وفاجعة الدهر بشبابه، ومن هنا نشر لفكرة التزامم الأنبي بين لحظة البكاء واللحظة الطللية المتعاقبة التي عبرت عن حقيقة الواقع المعاش للشاعر، أي لحظة الحاضر التي يتألم منها، فالأولى - طللية الشباب - يتحقق فيها

1 - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص 131، 132.

الحرمان من الشباب، والثانية تحقق الفراغ والجذب الذي حل بالأطلال بعد رحيل المحبوبة، فهي دلالات الحياة المتمثلة في الشباب الغائب والحبيبة المنصرمة¹.

أبرز شعراء المقدمة الطللية:

« في حقيقة الأمر نجد من أبرز شعراء المقدمة الطللية، أصحاب المعلقات من بينهم: امرئ القيس، زهير بن أبي سلمى، لبيد بن أبي ربيعة، عنتر بن شداد، النابغة الذبياني، عبيد بن الأبرص، الأعشى، الحارث بن حنظلة الشكري، طرفة بن العبد، المرقش الأكبر، عميرة بن جعل التغلبي»².

« والآن سنعرض لكم مجموعة من النماذج لهؤلاء الشعراء البارزين، وها نحن مع زهير بن أبي سلمى، في مشهد من مشاهد الشجن ولوعة الفراق، وهو أمام بيت حبيبته أم أوفى، وقد أثارت في نفسه ذكريات الأيام السالفة، فهزته أشواق الحب فقال:

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ * * * بِحَوْمَانَةِ الدُّرَاجِ فَالْمُتَتَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا * * * مَرَاجِعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً * * * وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً * * * فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ التَّوَهُّمِ

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 132.

² - زياد أحمد أبو شريعة، خصائص الشعر في التفسير، عالم الكتب الحديث، اربد، ط1، 2014، ص 355.

أَثَافِي سُنْعاً فِي مُعْرَسِ مِرْجَلٍ *** وَنُؤِيّاً كَجِدْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَنَّمِ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبِيعِهَا *** أَلَا عِمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْلَمَ¹.

فالشاعر هنا قد علتة الدهشة وغلبته الحيرة، حين شاهد آثار بيت حبيبته، فهو من جهة مندهش ومستغرب، وفي نفس الوقت ينبه الغافل كي يشاهد و يشاركه في محنته، ثم ينتقل إلى وصف أطلال بيت حبيبته، فذات الشاعر وهي تشاهد ما حولها فهي أخرجت مشاعرها على ما شاهدت، فأدخلتها في دائرة معاناتها، فدار الحبيبة قد صارت أطلالا غيرتها تراكمات الزمن وصروفه، فأى خراب أصاب دار الحبيبة، وأصبح هزالها كآثار الوشم فوق عروف المعصم، فذكر الشاعر في أبياته: (الوشم، النواشر، المعصم)، فهي لا تدل على تصوير مادي فقط، فهي تعبر عن اندفاع شعور الشاعر عن شدة ضغط الحب على عواطفه لدرجة أنه لم يستطع تخيل ديارها إلا على هذه الصورة.²

ثم نصحب الشاعر الجسور عنتر بن شداد في رحلته إلى ديار حبيبته يقول:

«هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مَنْ مَتَرَدَّمٍ *** أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ
يَا دَارَ عِبَلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي *** وَعَمِي صَبَاحاً دَارَ عِبَلَةَ وَاسْلَمِي

دار لآنسة غضيض طرفها *** طوع العناق لذيدة المبتسم

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا *** فَدَنْ لِقَضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ

1 - المرجع السابق، ص 355.

2 - ينظر: محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي، دراسة جمالية، دار الوفاء، د.ط، 2003، ص 199.

حُبَيْتٍ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمِ عَهْدِهِ *** أَقْوَى وَ أَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ¹.

فَعَنْتَرَةٌ هُنَا مَا كَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى دِيَارِ حَبِيبَتِهِ حَتَّى اسْتَحَوذَتْ عَلَيْهِ نَشْوَةُ الْحُبِّ، وَ تَنْتَهِي ذَاكِرَتَهُ بِذِكْرِيَاتِ الْوَصَالِ فَاسْتَلَّهْمُ قَصِيدَتَهُ بِتَسْأُؤِلِ هَلِ الشُّعْرَاءُ قَدْ أَتَوْا مِنْ جَدِيدٍ وَهَلِ قَاسُوا عَذَابَ الشُّكِّ وَالْحَيْرَةِ، حَيْثُ أَنَّهُ كَانَ يَبْحَثُ بَيْنَ الْأَطْلَالِ الْكَثِيرَةِ عَنْ دَارِ حَبِيبَتِهِ فَلَمْ يَهْدَأْ لَهُ بِأَلٍ حَتَّى وَجَدَهَا وَتَعَرَّفَ عَلَيْهَا، وَصَارَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَيَتَذَكَّرُ عَهْدَهَا بِحَبِيبَتِهِ عِبْلَةَ، فَصَارَ يَخَاطِبُ الْأَطْلَالَ كَأَنَّهُ يَخَاطِبُ إِنْسَانًا قَرِيبًا إِلَى قَلْبِهِ فَهُوَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ يَنَاجِيهَا وَ يَحِيهَا وَيَدْعُوهَا لِتَحْكِي عَنْ أَيَّامِ حُبِّهَا وَمَا جَرَى فِيهَا مِنْ أَحْدَاثٍ وَمَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْهُ مِنْ هَمْسِ الْأَشْوَاقِ، وَتِلْكَ اللَّقَاءَاتِ الْخَفِيَّةِ، فَالْأَطْلَالُ هُنَا هِيَ الشَّاهِدَةُ عَلَى حُبِّهَا، وَالْمَكَانُ الَّذِي أُضَاءَ بِرُؤْيَا حَبِيبَتِهِ عِبْلَةَ.

« يَقُولُ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ: فِي رِثَاءِ قَوْمِهِ "بَنِي أُسْدٍ" وَقَدْ أَبَادَ الْمَنْذَرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ

الْخُمِيِّ أَغْلِبَهُمْ مَسْتَرْفِدِ الدِّيَارِ، الَّتِي كَانَتْ مَحَلَّ اتِّحَادِهِمْ وَ قُوَّتِهِمْ، بِأَكْيَا الْمَصِيرِ الَّذِي آلَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ:

لَمَنْ طَلَّلَ لَمْ يَعْفُ مِنْهُ الْمَذَانِبُ *** فَجَنَّبَا حَبْرًا قَدْ تَعَفَى فَوَاهِبُ

دِيَارُ بَنِي سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأُولَى *** آذَاعَ بِهِمْ دَهْرٌ عَلَى النَّاسِ رَاتِبُ².

1 - المرجع نفسه، ص 202.

2 - عبید بن الأبرص، الديوان، ت، حسين نزار الحلبي، طبعة الحلبي، 1957، و طبعة دار بيروت للطباعة و النشر، 1979، ص 40.

فالشاعر هنا يكشف عن مدى حزنه على ما وقع من تشتت بين بني قومه، بينما كانوا متحدين في الرأي والموقف فهو يتأسى للحال الذي آل إليه قومه من ضعف، مذكرا بالأماكن التي كانت محل اجتماعهم وقوتهم، فهو حينما وقف على جناباتها تذكرها وتحسر بأنه أصبح غريبا عنها، ولم يعد من أهلها، فقد داهمه شعور الغربة، فبكى على عتباتها وأحس أنه ضيف عابر بها، « كما وقف لبيد بن ربيعة على الأثار،"السرحة"،"المرانة"، "النبع"، وهي أماكن توحى بالخصب والحياتية، كما أنها كذلك كانت تعد مسرحا حياتيا ماهو إلا لأيام العز، والسلطان مسترفدا إياها في تحسر، وانكسار، لما آلت إليه من خراب ودمار يقول في هذا الشأن:

لمن ظل تضمنه أثال *** فسرحة، فالمرانة، فالخيال

فنبع، فالنبيع، فدو سدير *** لأرام النعاج به سخال

نكرت به الفوارس والندامى *** فدمع العين سح وانهمال»¹.

فهذه الأماكن قد هجرها أهله، وانعدمت فيه الحركة والحياة إلا من بعض الحيوانات فهو يقارن بين ماضي هذه الأماكن التي كانت عامرة بالبشر، وحاضرها حيث صارت مأوى للحيوانات، فقد كانت بالأمس عامرة بأبطالها وفرسانها الذين صنعوا المجد والعزة، أما اليوم

¹ - باديس فوغالي، المكان و الزمان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2007، 1، 2008، ص202.

فقد أضحى ساحة للحيوانات البرية ترعى في جنباتها وتنعم بالحياة، فالشاعر حين رجعت به
الذاكرة لم يستطع إخفاء دموعه وأصبح يسترجع تلك المشاهد المليئة بالأنس والبهجة،

« كذلك النابغة حيث أدرك من أول وهلة أن الطلل الذي يقف عند آثاره قد عاد في

عداد الماضي يقول:

عوجوا ، فحيوا لنعمِ دمنةَ الدارِ *** ماذا تحيونَ من نؤيِّ وأحجارِ ؟

وقفْتُ فيها، سراً اليومِ، أسألُها *** عن آلِ نُعمِ، أمُوناً، عبرَ أسفارِ

فا ستعجمتُ دارُ نعمِ، ما تكلمنا *** والدارُ، لو كلمتنا، ذاتُ أخبارِ

فما وجدْتُ بها شيئاً ألودُّ به *** إلا الثُّمامَ وإلا موقِدَ النَّارِ»¹.

يتضح لنا من خلال هذا المشهد أن الشاعر قد استوقفه ما رأى من مشهد، دار
محبوبته، فقد زال كل شيء كانت تدب فيه الحياة، ولأن الشاعر كان على وعي تام بما
حصل لدار محبوبته، فلم يندهش ولم يستغرب فقد ذكره حين كان مارا على ناقته عبر رحلة
طويلة أي على سبيل التذكير لا شيء آخر.

« نقف كذلك عند امرئ القيس وكيف تعامل مع لحظة (الماضي و الحاضر) في

مقدمته، وكيف سيطرت لحظة الحاضر (الواقع) على مقدمته الطللية يقول:

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل *** بسقطِ اللوى بينَ الدَّخولِ فحوْمِلِ

¹ - المرجع نفسه، ص231.

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها *** لما نسجتها من جنوب وشمأل

تري بعز الأزام في عرصاتها *** وقيعانها كأنه حب فلفل

كأني عداة البين يوم تحملا *** لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقوفاً بها صخبي علي مطيهم *** يقولون لا تهلك أسي وتجمل

وإن شفائي عبرة مهراقة *** فهل عند رسم دارس من موعول¹.

لقد عاش الشاعر بين هاتين اللحظتين الزمئيتين المتمثلة في لحظة الحاضر، ولحظة الماضي فطلب الشاعر الأمري في لفظة (قفا) أملت على لحظة الحاضر بالسكون وسحبت أشلاء الماضي وذكرياته إلى حضرة الزمن الحاضر لوقوف الشاعر على الطلل، وبعد الإتفاق المفاجئ في الحركة الزمانية التي أرادها الشاعر كطقوس من الهيبة والجلال قبل الدخول في حرم الطلل والمثول بين أحجاره المتناثرة هنا وهناك، بعد هذا يعود الشاعر إلى استذكار لتصوير لحظة الحاضر في جانبها المكاني، فيرسم لنا الملامح الخارجية لهيكل الطلل، فآثار الديار لم تزل شاخصة لتعاقب الرياح عليها، لكن هذا لا يعني أنها تغيرت كثيرا عن صورتها الماضية، وما أفرزه من أحداث مرت على هذه الأطلال، فالشاعر يستذكر لحظات الألم في الماضي عندما حملت الطعائن حاجات الحبيبة و الربيع لتلقي تلك الآلام والذكريات مع الحزن واللحظة التي يقف فيها الشاعر على ما تبقى من آثار الديار، فامرئ

1 - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص 101.

القيس في لحظة الحاضر أمام ظل ولا يملك من حقيقة الأشياء إلا طلعا الشجي ممثلا ب(ذكرى الحبيب)، ولحظة الحاضر- الواقع- والتي يجد فيها البكاء الوسيلة الوحيدة للتخفيف عن وقع المصاب في نفسه المتألّمة والتي انتهت إلى رثاء هذه الأطلال أو إن صح التعبير هي رثاء لحظة الماضي من خلال ما تبقى من أشلائها الهامدة في هذه الأطلال الحزينة¹.

ونقف أيضا عند بيتين لمعلقة طرفة بن العبد؛ يقف فيها على أطلال حبيبته يقول:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ *** تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد.

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ *** يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَدِّدِ².

أكد طرفة هنا من خلال هذين البيتين، تأكيد فعل الزمن الذي حل على هذه الديار وترك فيها من الآثار، كأثار الوشم على اليد، هذا التعبير عن التغير الذي حققه الزمن على المكان الذي كان موطن الأهل والأحباب والألفة، بيد أن ترديد الشاعر للفظة أطلال (لخولة أطلال) هذا ما أثار في ذات الشاعر الألم والحزن والبكاء لإحساسه بغربة هذه اللحظة مكانا وزمانا وإنسانا³.

¹- ينظر: المرجع السابق، ص 101، 102.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص 104.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص 105.

« يقول لبيد بن أبي ربيعة العامري:

عفتِ الديارُ محلُّها فمقامُها *** بمنى تأبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُها

فمدافعُ الرِّيانِ عَرِي رَسْمُها *** خلقاً كما ضَمِنَ الوُحِي سِلامُها

دَمِنُ تَجَرَّمَ بعدَ عَهْدِ أنيسِها *** جَجَّجَ خَلَوْنَ حَلالُها وحرَامُها

رَزَقَتْ مرابيعَ النُّجومِ وصابِها *** ودقُّ الرواعدِ جودُها فرهاُمها

من كلِّ ساريَةٍ وِغادٍ مُدجِنٍ *** وعشيَّةٍ متجاوبٍ إِرْزامُها

فَعَلَا فُرُوعُ الأيْهُقانِ وَأَطْفَلَتْ *** بالجلهتين ظباؤها ونعامُها

والعينُ ساكِنةٌ على أَطْلائِها *** عوداً تَأَجَّلُ بالفِضاءِ بِهاُمها

وجَلَا السُّيولُ عن الطُّولِ كأنَّها *** زَبْرٌ تَجِدُ متونَها أَقلامُها

فوقفتُ أسألُها، وكيفَ سؤالُنا *** صمّاً خوالدَ ما يُبينُ كلامُها

عريتُ وكان بها الجميعُ فأبكرُوا *** منها وِغودِرَ نُؤيُها وَثَمامُها»¹.

خصص لبيد إحدى عشر بيتا للأطلال، بدأها مثل الشعراء في تصوير الهدم والتشويه الذي أصاب الديار ومواطن المحبوبة بفعل الزمن، ففي البيت الرابع نرى الإشراق المضيء الذي أسقطه الشاعر على حياة الطلل وحركته التي سخر لها كل مفردات الطبيعة لتكون

¹ - المرجع السابق، ص 108، 109.

عنصرا فعالا في جمال صورة الطلل في لحظته الحاضرة على غير ما تعودنا في رؤية لحظة الحاضر للطلل، ومع كل الإشراق و الحيوية التي أسقطها الشاعر على طلله، إلا أنه أيضا أسقط عليه سمة العجز والسكوت في البوح عن أخبار الأحبة والأهل الذين ظعنوا بعيدا وكيف وقفت جميع ملامح الصورة وعناصرها ساكنة أمام إعادة الماضي وذكريات الأحبة، أو تلك الحياة التي غدت في تلافيف الماضي المنصرم¹.

« فقد وقف الزمان والمكان حاجزا عن تحقيق فعل يعوض الشاعر عما فقده من حياة وذكريات جميلة، وبدأ هذا العجز يمتلك ذات الشاعر ويحقق حتمية القبول بالواقع المؤلم رغم ما ألم به، فكل شيء أصبح خاويا بلغة السكون ويحقق فعل الانصراف خلفا إلى الماضي يسحب تلك الذكريات الجميلة الممتزجة بمشاعر الشجن والجوى، تلاؤما واندماجا مع فجيرة الحرمان وواقعة الحاضر المشوه، مبتغيا عن تلك الذكريات، أن تكون وسيلة من وسائل الانفصال عن الحاضر وتحقيق وطأة الإحساس بالفاجعة التي خيمت على وقوفه بالديار»².

ففي هذه المقدمات نجد التشابه الواضح مع المقدمات الشعرية السابقة التي سجلت فيها لحظة الحاضر للطلل، هذا التشويه والتغير، وعكست عبر ذات الشاعر معاني الغربة والألم والحزن، المعاش للحظة الواقع، ومن هنا نستشف القول بأن الشاعر الجاهلي كرس أكثر

¹ - المرجع نفسه، ص 110.

² -رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص116.

جهد الفني في المقدمة ليرسم هذا الزخم النفسي المتأزم من لحظة الحاضر الأليم،
والماضي الجميل، والمستقبل المجهول.

مميزات وخصائص المقدمة الطللية:

- 1- إن ذكر الديار ينطوي على بعد جوهري يتمثل في رغبة الشاعر في الاستقرار بين أحضانها والتمتع بحياته.
- 2- أن هاته الديار مازالت تحافظ على هويتها وتتطق بالأصالة لما تتمتع به من صلابة و مقاومة في وجه عاتبات الزمن.
- 3- إن الشعور بالولاء إلى ذلك الطلل نجده يلاحق الشاعر، فيحمله هما إنتمائيا في عقله وفي الوجدان أينما استقر به المكان، في البادية، أو في الحاضرة، لأن ذلك يحرك في داخله كوامن الزهو والاعتزاز إلى المكان، هو الشعور الدائم بالأمان حياله قائما بتفاصيله.
- 4- يرتبط الطلل عند الشاعر بغريزة الرثاء، وبخاصة عندما يشعر الشاعر بافتقاده المكان وتبخر ما كان يجتمع فيه من سؤدد، ووجاهة، وخير عميم، لسبب من الأسباب، عندما يتحول من حضور مائل بكل التفاصيل إلى مجرد جثة مسجاة لماض ولى وأدبر.
- 5- الطلل رمز له إمكانية التكيف مع المعطيات النفسية والوجدانية، فقد كان رمزا للفخر والتملك من جهة أخرى يؤول إلى الهشاشة والزوال، ويغدوا رمزا للأسى والتوجع والتجعج إلى ما مضى من جميل الأيام.

6- أن الهم البيئي يعد المرتكز الأساسي، وبصورة عمودية على ذاتية الشاعر، وعواطفه الخاصة، ولعل أهم هاجس مكاني بات يشغل الشاعر الجاهلي، ويستحوذ على مشاعره، و اهتماماته هو الطلل نتيجة الظروف البيئية التي لم تكن تسمح له بالاستقرار في مكان واحد¹.

7- كان الطلل يكتسي أهمية بالغة في حياة الشاعر، إذ أن الوقوف على أبعاده، ودلالاته يمكن الدارس من الإمساك بخيوط العلاقة التي تربط الشاعرية وكذا التحولات الوجودية التي تغير حياته، ومن خلال حياة المجتمع الجاهلي المحكومة بظاهرة الارتحال والتتقل من مكان لآخر.

8- إن الوقوف على ظاهرة الطلل من خلال بعض المقدمات، سوف يساعدنا على تلمس بعض جوانب صيرورة الحياة الإنسانية المتسمة بالحركية في الجزيرة العربية.

9- لقد استطاع الشاعر أن يوغر في نواة الأمكنة من خلال ملامح الطلل بالبكاء والآسى تارة، وباستشعار عاتبات الدهر، وقدرته على المحو، والعفو تارة أخرى.

10- إن ثبات الطلل وصموده أمام سلطة الطبيعة وجبروتها وفق منظور الشاعر، إن هو إلا إشارة رمزية إلى خلود المكان كنواة رحم في ذاكرة وجدان الشاعر، ومن خلال الذاكرة الجمعية للمجتمع².

¹ - ينظر: علي الجندي، في تاريخ الأدب العربي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 1998، ص343.

² - ينظر: باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص 207.

11- إن ظاهرة الوقوف على الأطلال لا تقتصر وظيفتها على تلبية العرف الشعري المتمثل في التزام الشاعر الجاهلي بمستلزمات بناء القصيدة فحسب، إنما لها علاقة خفية تعكس آلية الانجذاب إلى الماضي، والوقوف على هذه الظاهرة تستجوبه جملة من المعطيات البيئية المحيطة بالشاعر والمؤثرة في قوله الشعري أهمها: العلائق الوشجية للرابطة الوجدانية التي تشد الشاعر إلى الماضي لحظة الوقوف.

12- وقوف الشعراء على الأطلال يرد إلى رغبة لاشعورية لعاطفة الاستمرار الحياتي، هذه العاطفة التي تجعل من رؤيته للطلل بديلا موضوعيا للارتواء الجنسي عبر الحبيبة المرتبطة بالديار من جهة، ومن جهة أخرى يعكس لاشعوريا مظهرا من مظاهر التهدم الحضاري حبا للبقاء.

13- الوقوف على الأطلال تأكيدا لاستمرار الحياة، وامتلاكها في الوقت ذاته لزمان الماضي الذي يسترجعه لتمثله، وإحيائه في حس جديد ورؤية جديدة¹.

14- المقدمة الطلالية تنهض بوظيفة شعرية تزود الشاعر بزاد من المشاعر، تهيئه فكريا ونفسيا، فهي وظيفة خلق هذا الجو الشعري الذي يمنح الشاعرة القدرة على القول، لأنه يصبح في حالة معاناة شعورية حادة، تمده بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتبس في نفسه.

15- فالمقدمة الطلالية، هي اتحاد خارجي، لإرضاء الذوق العام، وتلبية الشرط الشعري المكتسب بقوة العرف والثقافة الشعرية السائدة.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 209.

16- إن الطلل في تصور الشاعر ليس مجرد مكان عاد له أبعاد، ومقاسات وحدود،

أنما يعد عنده شخصية لها هويتها ومواصفاتها.

17- إن الصراع الذي يصدر لوحة الطلل، يحيل إلى حالة صراع الإنسان الأبدية مع

الطبيعة، وهي حالة طبيعية تكتنه سر تعلق الإنسان بالأرض، والمنبت الذي نشأ وترعرع

فيه¹.

18- رؤية الشاعر الفنية للمكان، لا تنحصر إذن في ذكره وتعداده لبعض أسمائه ذكرا

عرضيا، أو التعرض لبعض أجزائه بالوصف أحيانا كما أنها أي الوقفة الطللية ليست سلوكا

فنيا موروثا فحسب، إنما هي رؤية جمالية تتداخل في تشكيلها هذه العناصر جميعا مستندة

في ذلك على ركام مرجعي، من التذكر والاستيعاب لإدراك الظاهرة الوجودية التي تتحكم في

صيرورة الأشياء و تحولها من حال إلى حال².

19- « الطلل في كثير من القصائد القديمة، كان يعمر بالأنس والعلاقات الاجتماعية

القائمة على الحب، وتبادل المصالح، وبعد رحيل الإنسان لحاجة ما، يتحول الطلل إلى

فضاء مقاطب يحضن مجتمعا حيوانيا، يجد في ربوعه مايلبي حاجاته البيولوجية، من مرعى

وتناسل.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 214.

² - ينظر: المرجع السابق، ص 215.

20- لقد كان الشاعر الجاهلي، شديد الحرص على إبراز مظهر الدفء، والحنان الذي تحتل به الأطلال، فهي كالأم يعود إليها كلما افتقد أو فتر إحساسه إزاء الحياة و يحن إليها، كلما شعر بالغربة والاعتراب»¹.

21- « فالطلل إذن يمثل صورة من صور العلائق النفسية، والمادية المتواترة، بينه وبين ذات الشاعر والشاعر بدوره يستجيب لهذا المثير في الحالتين، فينطبع المكان بالحالة التي يكون عليها الشاعر أثناء وقبل عملية القول الشعري»².

22- « أن الطلل لعب دورا أساسيا في بناء ذات الشاعر المفتتة بآثار الاعتراب، والإحساس بالوحدة، إثر مغادرة القوم الربوع التي احتضنت شبابه، وأيامه الآفلة التي كانت ممتلئة بالبهجة، والحب.»³

23- « من المفارقات التي يمكن أن نلمسها في الوقفة الطللية، أن يعهد الشاعر إلى الربط بين الأطلال التي ترمز إلى الغناء والعفو، وبين الحب الذي يرمز إلى التفاؤل بالحياة»⁴.

24- نجح الشاعر في أن يوغر في نواة الأمكنة من خلال الطلل بالبكاء والأسى تارة، وباستشعار عاتبات الدهر وقدرته على المحو تارة أخرى.

1 - باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص218.

2 - المرجع نفسه، ص 221.

3 - المرجع نفسه، ص 232.

4 - المرجع نفسه، ص 232.

25- لقد كان الطلل نواة المكان لدى الشاعر الجاهلي، لا يزول مع تركه ومغادرته،

إنما يظل في ذاته ينبض بالحياة.

26- لقد كان المكان في المتن الشعري الجاهلي، ممثلاً في الطلل رمزاً لمقاومة الإنسان

لعافيات الزمن، وأهوال الطبيعة، يعكس بصورة أو بأخرى التفاعل الوجداني لهذا الإنسان مع

متغيرات الحياة¹.

من خلال كل هذه المميزات التي اتسمت بها المقدمة الطللية لما لها من مكانة أساسية

في الشعر الجاهلي عموماً، وعند الشعراء الجاهلين خصوصاً، يمكن أن ترد الظاهرة الطللية

في الشعر الجاهلي إلى الضرورة الجمالية والنفسية والفكرية التي يستوجبها الموقف الشعري

عموماً، سواء أكان الشعراء قد عاشوا هذه التجربة واقعياً، وكابدوا معاناتها، فاستشعروا بدفئتها

في حياتهم وعاشوها جمالياً بحكم تأثيرها في المتلقي، وتهيئة وجدان السامع على التلقي

والإنصات.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 318.

المقدمة الخمرية في الشعر:

« تعلق الشاعر الجاهلي حبا بعناصر عديدة من بيئته الطبيعية، وحياته الاجتماعية، ولعل الخمرة كانت من تلك العادات والتقاليد التي تمسك الجاهلي بديمومتها في حياته، وغدت ظلا لا يغيب كثيرا من حياة الشجاعة والكرم واستنكار الحياة لديه آنذاك، وأيضا ما عبرت عنه الخمرة من معان عديدة متنوعة، جعلت تأخذ أكثر من لون ومعنى في حياة البادية العربية، فهي صورة من صور الكرم والسخاء والثراء.

لقد تعددت مواضيع المقدمة الخمرية: عندما يذكر الشاعر الخمرة في قصائده، فهو لم يقتصر على وصف لونها وطعمها فقط، بل كان كل همه هو الفخر بقدرته على شرائها واحتسائها حتى يبلغ مكانة بين القوم، فالعرب كانوا يؤلفون أمة واحدة، على الرغم من اختلافاتهم القبلية، بفعل موهبتهم الروحية الشعرية الواحدة، وليس من شك في أن الشعر وجد حافظه الأول في غريزة اللهو، وفي المتعة التي كان يجدها الإنسان البدائي في الصوت والإيقاع، وفي الواقع الحالم الزاهي، الذي تنقلع إليه الخمرة الساحرة، ولو كان وهما.¹»

ففي المجتمع البدائي (الجاهلي)، تقتصر التسلية فيه على أمور معينة محددة من اللهو منها: الغزل، والميسر، وشرب الخمر، وكل هذه المؤثرات نقلها الشاعر الجاهلي من خلال قصائده باعتبار الشاعر أن لا عيب من ذكرها والافتخار بها.

¹ - إرجاء أحمد صادق، الخمريات في العصر الأموي، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص33.

« فقد ولعوا العرب الجاهليون بالخمرة، فحرصوا عصرها وتخزينها، واقتنائها من بلدان

بعيدة، وأطلقوا عليها تسميات كثيرة.»¹

لقد ارتبطت الخمرة بالإنسان الجاهلي أينما ارتبط، حتى أصبحت عند بعضهم، من أهم

ضروريات يومياتهم، وأعطوها قيمة، يمجّدونها، ويفتخرون بشربها، فقد كانت في حياتهم، لا

تقل أهمية عن القيم التي توارثوها عن أجدادهم.

« كما نجد الخمرة قد استحوذت فنياً على حيز هام من أشعارهم، إذ كغيرها من

الموضوعات الشائعة في المتن الشعري القديم، قد ضمنت في قصائدهم المركبة، واتخذوها

كأداة اللهو والفرح الحاد بالوجود، وينشدون لها أناشيد النشوة التي كانت تعرفهم به من

لذة حسية مباشرة، فقد كانوا يمجّدون تلك اللحظات التي تخففوا بها من وقر الحياة، ومن

مواجهة وجهها الكالح، وأغرقوا في النشوة الحميمة لاهين، مستقبليين بها الحياة استقبالا

بهيجا مفعما بالمتعة، والإشراق.»²

فالشاعر وجد لذته في احتساء الخمر، يفوق كل اللذات، بل كان يرى فيها سر حياته،

ولهوه وسعادته، وأمامها يهون كل شيء، حتى وإن كان ذلك مالا، أو ولداً، هي المطالب

التي كان كل عربي يأمل الحوز عليها، والاستمتاع بشربها.

¹ - باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2008، ص102.

² - إيليا الحاوي، في الشعر الخمري تطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1981، ص 245.

« ونجد في معلقة ليبيد بن ربيعة "فسحة"، يتحدث فيها عن الخمرة، مفاخرًا بشربها، وكأنها مظهر من مظاهر الرجولة وسو القدر، يعتز بها الشاعر كما يعتز بقوة شكيمته وحسن بلواه في الحروب، فهو يقول لحبيته:

بل أنت لا تدرين كم من ليلةٍ *** طَلَقِ لذيذِ لَهْوِها وَنِدامِها

قَدِ بَتُّ سامِرها، وَغايةِ تاجرٍ *** وافيتُ إذ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُدامِها

أُغلي السِّبَاءَ بكلِّ أدْكَنَ عاتقٍ *** أو جَوْنَةَ قُدْحَتِ وفُضِّ خِتامِها

ولقد حميتُ الحيَّ تحملُ شِكتي *** فرطُ، وشاحي إذ غدوتُ لجامِها.¹

إذن، فليبيد يفتخر أمام الجميع، بشرب الخمر وشرائها، من التجار كما فعل معظم شعراء عصره، لكن تلك الآفة رغم شيوعها، كانت غير مستحبة عند بعض شعراء، أو حكماء العرب، حتى قبل مجيء الإسلام، فالقبيلة كانت تنفر من الشباب الذي ينتمي إليها والذي يدمن على الشراب حتى يصبح أسيرا لها، لأنه يصبح بؤرا الرذائل، التي تتنافى مع الخلق القبلي المتعارف عليه.

« فعندما وصف الشاعر الخمرة، وتغنى بها، كان ينشد نشيد اللذة، مع ما يصحبه من متع الفناء والمنادمة، فالخمرة فرح الجاهلي، وغبطته بمناعم العيش، كما تشمل تمجيده اللذة، وتعيده لها، يقول مجمع بن هلال:

¹ - رعد أحمد علي الزيني، في الشعر الجاهلي، دار الينايب، دمشق، ط2، 2008، ص202.

شهدت وغنم قد حويت و لذة*** أتيت و ماذا العيش إلا التمتع.»¹

فاهتمامهم بها دليل واضح على أنها تشتغل حيزا هاما من حياتهم، فقد اهتموا بها شعرا، أو صدروها قصائدهم، كما أن وصفها كان منثورا في مختلف أشعارهم.

« فهذا عري بن زيد؛ أول من شبه أباريق الخمر بالظباء، ذكر بيت الخمار الذي

بناه صاحبه من قطع الدنان المكسورة و المغطية بالخصف لتعطي برودة:

بيتٌ جلوف باردٌ ظله*** فيه ظباء و دواخيلٌ و خوص.»²

إن الشاعر العربي في وصفه " الخمرة"، وتغنيه بها، كان ينشد نشيد اللذة الحسية

الملموسة، شأنه في جميع أمور حياته.

« يقول طرفة بن العبد الذي يعد من خير من صور ولعه بالخمرة يقول:

وما زال تشرابي الخمر و لذتي*** وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتدي

إلى أن تحامنتي العشيرة كلها،*** وأفردتُ إفراد البعير المُعبَّد.»³

إن الهدف الرئيسي من شرب الخمرة، ليس القصد بها الإنسان المتعطش لشربها فقط،

إنما هو السعي للذة، فالجاهلي كان يتعبد اللذة منذ العصور القديمة، فهي تعطي صورة

وانطبعا خاصا لرجل تملكه لرجل تملكه اللذة، فيستسلم لها، وينغمس في هواها ويتغنى بها

1 - إرجاء أحمد صادق، الخمريات في العصر الأموي، ص 38.

2- المرجع نفسه، ص 38.

3 - المرجع السابق، ص 38.

وهو في أسرها، فطرفة هنا يفتخر بنفسه، ويصف اندفاعه نحو اللذة الناجمة عن شرب الخمر واللهو، ومع النساء، فالشاعر هنا لا يهمله من الدنيا، سوى الرخص وراء اللذات أيا كان نوعها، فهو يمجّد اللذة، ويعبدها لأنه سيفقدّها ويحرم منها، بعد الموت، كما يعتقد لأن الحياة عنده عبث لا جدوى منها.

يقول:

« ألا أيُّ هذا اللائمي أحضَرَ الوغى *** وأن أشهدَ اللذات، هل أنت مُخَلِّدي؟ »

فالصورة المتمثلة في شعر طرفة هي، صورة رجل يغتصب المتعة اغتصاباً من الحياة الفانية، وكأنه سياب الموت إلى لذته و يرى أن الفروسية تقوم على ثلاثة أشياء: خمر، و قتال، ونساء»¹ إذن فالسعي وراء شرب الخمر، لم يبعد عن كونه مبعثاً للذة المادية، يتطلبها الشاعر ليتغنى بحياة هنيئة، ومعيشة سعيدة، فهي عنده من طيبات الحياة، وكل عيش بالنسبة إليه سيغني والموت والحياة سيان فليشرب المرء وليهنأ بما لذ وطاب.

و «يذكر الأعشى قائلاً في إحدى قصائده، مجدداً اللذة مستلهماً معنى جميلاً، كان

فيما بعد ملهماً الكثيرين من غيره من الشعراء:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ *** وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

¹ - المرجع نفسه، ص 40.

لَكِي يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي امْرُؤٌ * * * أَتَيْتُ الْمَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا.¹

الباب الذي فتحه الأعشى على مصراعيه، هو الذي دخل منه معظم الشعراء الجاهلية الكبار، وعلى رأسهم امرؤ القيس الذي « كان يحول في الأحياء مع بعض الأخلاط من شعراء العرب، من طئ وكلب، فإذا صادف غديرا، أو روضة، أو موضع صيد أقام، فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فاصطاد، ثم عاد فأكل وأكلوا معه، وشرب الخمر، وسقاهم وغنته قيانه، ولا يزال كذلك حي ينفذ ماء الغدير، ثم ينتقل إلى غيره.»²

فالخمر مبعث اللذة والفرح، وجالبة للسعادة وناسية للهموم والأحزان، ومبعثا لحياة اللهو والمرح، ويرى فيها سر حياته، ولهوه، فالجو الذي يعيشه الشاعر بكيانه ووجدانه، في هذا المقطع مفعم بالبهجة والمتعة الحسية.

« لقد تعدت معاني المقدمة الخمرية، من شاعر لآخر فمنها من يهدف من ورائها إلى تشبيهها بالحيوانات، كذلك الإنشاء بملذات الدنيا والدعوة إلى التمتع بالخمر والنساء، قبل أن يدركه الموت، وكذلك يدل ذكر الخمر على شدة تعلق الشاعر بالحياة، والتشبث بها، وأيضا تعد من دواعي الفخر، الفتوة، ومن دلائل حياة الشجاعة والكرم، ووصف لمجالس الشراب، فالمقدمة الخمرية تعد لون ومعنى وتعبير للحياة البادية العربية، فذكر الشاعر للخمر و احتسائه، ووصف طعامه، ولونه، ورائحته، ما هو إلا شعور باطني يعكس

¹ - المرجع السابق، ص 40.

² - المرجع السابق، ص 41.

ما بداخله من ضرورة التغلب على مصاعب الحياة، وصورة من صور الكرم والسخاء، والثراء فهي مدح للشارب والفخر بشربها، في نظره من صفات الرجولة وسمو القدر، كما اقترنت الخمرة بصفات الفرسان، ومعاني الفروسية والفتوة عند العرب، فهي وسيلة للفخر والغلو، بقدر ما يهيم المرء بشربها يعظم شأنه لذا سعى الشاعر إلى ذكر مافي مقدمته، فهي مادة اللهو والعبث، يتعاطونها في إقامة الأعراس والحانات والمجالس الخاصة، كما شاطرت الخمرة المرأة في جانب شغف الجاهلي والتلوه بها.¹

هذا ما جعل الشاعر يبث شجنه في الإدمان عليها هاربا من ألم الحب، كما تعد الخمرة جزء من حياتهم، ففي نظرهم هي أداة مرح تطرد الهم والغم، فهم يجيدون فيها حياة يتلذذون بالعيش فيها، كما يبحثون من خلالها عن الهدوء والطمأنينة، والاستقرار، كما يذكر مدى تأثيرها وصورتها وأحوال شاربها، فهي علاج لهمومه، وأتراحه، هذا ما دفع بالشاعر للهروب إلى عالمها عالم النشوة، واللذة، ليؤنس ذاته بلحظات الفرح، وينسى اللحظات الحاضرة المؤلمة، فهي تصور له عالم الخيال والنشوة المحببة إليه.

من أبرز شعراء المقدمة الخمرية:

« نجد أن النصيب الأكبر يكون لصالح الأعشى، فهو شاعر الخمرة والنساء، فشعره الخمري، يكاد يساوي مجموع ما قاله معظم شعراء العصر الجاهلي، كذلك شهرته كانت متمثلة بذكر الخمر واهتمامه بها، كمادة حية للوصف، أيضا حسان بن ثابت، عدي بن

¹ - ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، دار صادر، بيروت، طبعة ليدن، ابريل ، 1902، ص116.

زيد، علقمة بن عبده، سحيم بن وثيل، الأسود بن يعفر النهشلي، المرقش الأصغر، عنتره بن شداد، عبد اليغوث الحارثي، زهير بن جناب، امرؤ القيس، عمرو بن كلثوم التغلبي، لبيد بن ربيعة، طرفة بن العبد، أبو الذيال، المنخل البشكري، وسنقوم بعرض مجموعة من النماذج لبعض هؤلاء الشعراء.¹

« كان الشاعر الأمير امرؤ القيس ينشد الخمرة، طلبا لحياة اللهو والمرح، لكنه حرم على نفسه شرب الخمر، عندما علم بوفاة أبيه، لعلمه أنها مبعث السعادة إلى النفوس، فأنشد قائلا:

خليلي لا قي اليوم مصحى لشارب *** ولا قي غدا إذ ذاك ماكان يشرب.²

الخمرة منبعث اللذة والفرح، ونجد كثيرا من الشعراء يذكرون خلانا وأحابا، بأسى وحزن، كانوا برفقتهم ساعات اللهو والفراخ، مستمتعين في الوقت نفسه بشرب الخمر.

« فالشاعر الجاهلي سلمى بن ربيعة، يذكران الحياة ليست إلا كأسا يشرب على صوت مزهر حنون، وما يتبع ذلك من نساء بيض يتبخترن في الثياب الأنيقة المزركشة، يقول:

إن شواءً و نشوةً *** وخبب البازل الأمون.

يُجْشَمها المرءُ في الهوى *** مسافة الغائط البطين.

1 - إيليا الحاوي، في الشعر الخمرى تطوره عند العرب، ص 220.

2 - إرجاء أحمد صادق، الخمريات في العصر الأموي، ص 41.

والبيضَ يَرْفُلُن كالدَّمى *** في الرَبطِ و المَذْهَبِ المَصُونِ.

من لذة العَيْشِ و الفَتَى *** للذَّهْرِ و الذَّهْرُ نُو فنون»¹.

هنا الشاعر يتحدث عن لذته، حديث المالك لها والقادر عليها، لذا بدا حديثه حديث، المفتخر بشبابه، وبقدرته على إمتاع نفسه، فيبدو من خلال أبياته في وصفه للخمر، أنه مغلوب على أمره، أو كالسجين الذي لا يجد مخرجاً.

« فمناغاة الخمر، ووصف ما تحدثه في النفس من لذة ونشوة، كانا مدعاة للفخر عند الشعراء الجاهلين العرب، فصبغت أبياتهم الخمرية بالحماسة، فعنترة بن شداد في سياق الفخر بنفسه، وقدرته على مجابهة الأخطار، يعرج على ذكر الملذات، ومناعم العيش، التي تمثل قيمة الحياة الجاهلية بنظره يقول:

« ولقد شربْتُ من المدامَةِ بعد ما *** رَكَدَ الهواجرُ بالمشوفِ المُعْلمِ

بُزْجاجةٍ صفراءِ ذاتِ أسرَّةٍ *** قرنتُ بأزهرِ في الشمالِ مَفْدَمِ

فإذا شربْتُ فإنني مُسْتَهْلِكٌ *** مالي وعرضي وافِرٌ لم يُكَلَمِ

وإذا صَحَوْتُ فما أَقْصِرُ عن ندىٍ *** وكما عَلِمَتِ شمائلي وَتَكْرَمي»².

¹ - المرجع نفسه، ص 42.

² - المرجع السابق، ص 42.

إن الصورة الزاهية التي قدمها الشاعر، من وصف جميل لأنية الخمر الصفراء، والإبريق المقدم، لم يقصد من ورائها الوصف كغرض شعري يسعى إليه، فهو لا يهمله لا اللون ولا الشكل، وإنما همه هو إظهار قدرته وسيطرته على كل شيء، فميدان اللهو والشرب عنده، يشبه ميدان الفروسية والمبارزة، ففي كلتا الحالتين، يكون في موضع مبارزة وعراك، هو يفتخر بشربه الخمر.

وهكذا اقترنت الخمرة بصفات الفرسان، ومعاني الفروسية، والفتوة عند العرب، فهي وسيلة للتفاخر، وبقدر ما ينعم المرء بشربها يعظم شأنه وتعلوا قيمته.

« وقد شاطرت الخمرة المرأة في جانب شغف الجاهلي، والتوله بها، لذلك كثيرا ما تطرق الشعراء إلى هذه الازدواجية بين الإدمان والشغف للمحبة والخمرة، باثا شجنه في الإدمان هاربا من معاناة الحب والهيام، كما نراه في قول عري بن زيد:

بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضْحِ الصُّبِّ * * * * ح يَقُولُونَ لِي أَمَا تَسْتَفِيقُ

وَيَلُومُونَ فِيكَ يَا ابْنَةَ عَبْدِ الْإِ * * * * لَهُ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْثُوقُ

وَطَفَا فَوْقَهَا فِقَاقِيعُ كَالْيَا * * * * قَوْتِ حُمْرٍ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ»¹.

¹ - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص 23.

فالخمرة والحبيبة لهما معنى استهلكه الشعراء، لأنهم كانوا يسعون وراء اللذة، هذه الأخيرة عندهم تكمن في مجالسة المرأة، وشرب الخمرة، هذا ما جعلهم يولعون بها، وغدت معانيها لا تفارقهم في حياتهم وشعرهم.

« يقول أبو الذيال: وهو يخفف من لوم اللائمة وإسرافه الخمر وولعه بها:

هبت بليلٍ تلومُ في شربِ ال *** خمرٍ وذكرِ الكواعبِ الخُرْدِ

فقلْتُ مهلاً فما عليكِ إن ام *** سيئٌ غويّاً غيّي ولا رشدي

فلا تلومني على خُلقي * * * * واقني حياءَ الكريمِ واقتصدي»¹.

قد كثر حديث اللائمة في الشعر الجاهلي، وفي شتى الأغراض، وبرز هذا من خلال هاته الأبيات، التي رسمها لنا الشاعر، فهي تدل على كثرة إدمانهم للخمر، وإسرافهم، وظهر هذا في صورهم لها ضمن قصائدهم، إذ أصبحت تقليداً، يكاد يكون غالباً عند الشاعر الجاهلي، كما ترددها في بعض القصائد، والاستهلال بها في بعض المعلقات، بد لنا على أنها شاعت فيهم، وأصبحت كالطلل.

« الخمرة عند حسان بن ثابت، كانت في كثير من قصائده، عبارة عن سرد لا مفر

منه، وكأنها عصب من أعصاب الحياة، داخله في حكمته، و تشبيهاته، و لكنه لا يبعد

¹ - المرجع نفسه، ص 23.

عن جوهر الموضوع، فهو دائما الفارس، و سيذا القوم، فالفخر ملازم له في مدحه و في و صفه للخمور:

ولا أَصَالِحُ مَنْ عَادُوا وَأَخَذُلُهُمْ، *** ولا أُغِيبُ لَهُمْ يَوْمًا بِأَقْدَاعِ.

وقد غَدَوْتُ عَلَى الْحَانُوتِ يَضْبِحُنِي *** مِنْ عَائِقٍ مِثْلِ عَيْنِ الدِّيكِ شَعِشَاعٍ¹.

دلت الخمرة على أنها مادة اللهو والعبث، يتعاطونها في إقامة الأعراس، واللهو، والمجالس الخاصة، والحانات، لقتل الوقت من الفراغ، فقد كانت الخمرة لا تفارقه ودائما ما يتباهى بها وبشربه لها، فهو يصفها ويصف إقباله على الحانوت بصحبة رفقائه، ويصف الحالة التي يكون عليها مضيء العينين بعد حالة سكره.

« يقول: عبد اليغوث الحارثي مفتخرا لنفسه و كرمه:

وقد كُنْتُ نَحَّارَ الْجَزُورِ وَمُعْمِلَ الْمَطِيِّ *** وَأَمْضِي حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا

وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الْكِرَامِ مَطِيَّتِي *** وَأُصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا².

يبدو الشاعر هنا مستهتر بكل القيم، لا يهمله شيء، فهو يغامر بكل ما ملكت يداه ويفعل المستحيل في سبيل لحظات هائلة مليئة باللذة، يخسر كل ما يملك، ثم يغني فرحا بما فعله، لقد كانت غرض الفخر، يشتمل على سائر الشعر الجاهلي، ويطغى على جميع

1 - إرجاء أحمد صادق، الخمريات في العصر الأموي، ص 44.

2 - المرجع نفسه، ص 45.

الأغراض، لذلك كان الشعراء، يذكرون الخمر، وإنفاق المال في اللذات، دائماً وبكثرة، أكثر من ذكرهم حين يمدحون فتوتهم.

« الخمرة عند الجاهلي كانت تتبوأ مركزاً هاماً في حياته، لهذا كان يتباهى بشربها، وباسقائها لضيوفه، هذا يعطينا فكرة واضحة عن منزلة هذا المشروب لديه، و لكن الفكرة تصبح أكثر وضوحاً، عندما نجد أن الشاعر يمزج بين المرأة التي يحب و يهوى، فالخمرة تذكره بالحببية، و العكس صحيح؛ يقول المرقش الأصغر مشبها ريق حبيبته بطعم الخمرة المعتقة الجيدة:

وما قَهْوَةٌ صَهْبَاءُ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا *** تُعَلِّي عَلَى النَّاجُودِ طَوْرًا وَتُقَدِّحُ.

ثَوَتْ فِي سِبَاءِ الدَّيِّ عِشْرِينَ حِجَّةً *** يُطَانُ عَلَيْهَا قَرَمْدٌ وَتَرَوِّحُ.

سَبَاها رِجَالٌ مِنْ يَهُودَ تَبَاعَدُوا *** لِحِيلَانَ يُدْنِيهَا مِنَ السُّوقِ مُرِيحُ.

بِأَطْيَبِ مَنْ فِيهَا إِذَا جُنَّتْ طَارِقًا *** مِنَ اللَّيْلِ بَلْ فُوهَا أَلْدُّ وَأَنْصَحُ»¹.

الشاعر هنا يشبه طعم الخمرة بطعم ريق حبيبته، فهو لا يجد تشبيها لها سوى طعم الخمرة، هذه الأخيرة التي تذكره بحبيبته التي يهوى.

« والأعشى الشاعر المغربي بالخمر كغرامه للمرأة، قدم صورة شعرية، يصف فيها امرأة

أحبها، وأحب الخمر المنبعث منها الممزوج برضاها:

¹ - المرجع السابق، ص 45.

كأن الخمر العتيق من الاسفط *** ممزوجة بماء زلال

باكرتها الأعراب في سنة النو *** م فتجري خلال سول السيال»¹.

الخمرة هنا هي التي تواسيه من ذكرها ونسيانها، إذ أن شربة من كأس قادرة على إزاحة

طيف الحبيبة من مخيلته.

« والأثر الذي تحدثه الخمرة في الشارب تناوله الأعشى الخبير فأنهك المعنى ولم

يترك لشاعر آخر أي مجال للإضافة معنى جديد عليه، يقول في هذا الشأن:

تكاد تنشي ولما تذق *** وتغشي المفاصل إفتارها.

تدب لها فترة في العظام *** وتغشي الذؤابة فوارها»².

هذا الأثر الناتج عن شرب الخمر تناوله الشعراء، ولكن الأعشى تفوق عليهم في هذا

الوصف الدقيق، حيث بين مدى تأثير الخمر في جسمه، بوصف دقيق وموحي، هكذا نجد

أن شرب الخمرة، وذكر الأثر الذي تحدثه في النفس والجسم، حدث هام، بالنسبة للشاعر،

الذي تغنى بالخمرة في شعره، وقدم لنا صورة حسية لنوعية الشراب والكمية والشكل.

« يقول الأسود بن يعفر النهشلي مفتخرا:

ولقد لهوت وللشباب لذاذة *** بسلافةٍ مُزجت بماء عَوادي.

¹ - المرجع نفسه، ص 46.

² - إرجاء أحمد صادق، الخمريات في العصر الأموي، ص 51.

من خمر ذي نطف أغنّ منطق *** وافى بها لدرهم الأسجاد.

ولقد أروح على التجار مرّجلاً *** مذلاً بمالي لئناً أجيادي.¹

إذن، فالخمر كان لها مكانتها في الشعر العربي، وقد أعطوها بعض الشعراء أهمية في حياتهم، فشربوها، ونقلوا صورة واضحة عنها، وعن تأثيرها في النفوس، وخاصة أن أهمية الخمر كانت تقوم على ندرة وجودها، مما جعل الشعراء يتباهون بشربهم لها، بعد الحصول عليها، وشرائها، بأغلى الأثمان أحياناً.

« ويبدو أن مجالس الخمر، جعلت الشاعر الجاهلي يلجأ إليها، لإطراح همومه، وأحزانه، ويؤنس ذاته بلحظات الفرح والنشوة، التي تمده بها تلك المجالس، وكثيراً من الشعراء وصفوا ذلك على أنها جزء من حياتهم اليومية يقول عدي بن زيد:

أيها القلب تعلل ببدن *** إن همي في سماع وأذن.

و شراب خسرواني إذا *** ذاقه الشيخ تغنى و ارجحن².

ومن هنا نتلمس لجوء الشاعر للخمر لأنها أداة مرح، تطرد الهم والغم عنه، ووجدوا بها حياة أخرى، يلدُ فيها العينين ويطيب المقام.

¹ - المرجع السابق، ص 51.

² - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص 207.

« نرى ذاجدن الحميري يذكر حمير وما دخل عليها من الذل، بعد العز الذي كانوا فيها، وما هدم من حصون اليمن، " زمن أرباط - الحبشة -"، فيقول هاربا من لحظة الواقع المؤلمة الني يعيشها متغنيا بالخمير:

دعيني - لا أبا لك - لن تطيقي **** لحاك الله قد أنزفت ريقي.

لدى عزف القيان إذ انتشينا **** وإذ نسقى من الخمر الرحيق.

وشرب الخمر ليس علي عارا *** إذا لم يشكني فيها رفيقي»¹.

هنا الشاعر وسط تلك الصيحات التي يرددها، بوجه الحياة باحثا عن علة ما يعانيه ويشعر به من خضم، مرتميا إلى أحضان الخمرة التي تتسيهم دنياهم، ولحظتهم المليئة بالأحزان، والأشجان، فهو قد سكر في دنيا جزيرة، تبعد عن وطأة الحياة وذاته المتعبة، في بحثه عن الطمأنينة، والاستقرار.

« وبذلك كان من لجوء الشاعر للخمرة، ما تحققه له من عوالم، وأمنيات، لا يستطيع تحقيقها في عالم الواقع، فهي تسلية بخيالات بعيدة تشيع فيه رغباته، من أمانى وتطلعات، وتبعت فيه مشاعر النشوة، والطرب، والفرح، بدلا من مشاعر الحزن، والشجن، وتخلق عالما محببا له العيش فيه تعويضا عن حاضره الذي يهرب منه ولا يرغب فيه.

يقول حسان بن ثابت في هذا الشأن:

¹ - ناصر الدين الأسد، القيان و الغناء في العصر الجاهلي، بيروت، لبنان، دط، ص 59.

كأساً، إذا ما الشيخُ والى بها *** خَمْساً، تَرْدَى بِرِدَائِ الْغُلَامِ.

مَنْ خَمْرٍ بَيَّسَانَ تَخَيَّرْتُهَا، *** تَرِياقَةً تَوْرَثُ فِتْرَ الْعِظَامِ»¹.

ومن هنا تأتي أهمية الخمرة في عملية الخلق الفني للشاعر، لأنه انفصال الشاعر من واقع حقيقي، إلى عالم الخيال، فهي جزء من ديمومة الحياة وفعالها، لتكون واقعه الأكبر، والأفضل، وتعوضه، عن عالمه من حوله.

«هناك أيضا "عروة بن كلثوم الخمري"، عندما عمد إلى إبراز لحظات المتعة في حاضره وماضيه، وفي أماكن متعددة، انطلاقاً من رغبته العارمة للخمر التي أكسبته ثقة كبيرة بالنفس، و فخرا و زهوا كبيرين، على وقع متعة الانتصار التي شعر بها إثر فتكه "بعمربن هند"»².

لهذه الأهمية التي يوليها للخمر لتعميق كبريائه، وكذلك شحذ همته لما قد ينتظره من مواجهات و تحديات.

« صدر في معلقته بهذا المطلع أمرا الساقية الحسناء ترك ما بيديها، والتفرغ له ولأصحابه، لكونه جاء في طلبه، وليس هناك أمر أجل من الخمرة، ينتشي باحتسائها، قبل إقدامه على ما يشغل باله، من مشاريع.

¹ - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص210.

² - باديس الفوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص109، 110.

وكأن الخمر وما تتركه من نشوة في شاربها تزيده إصرارا وإقداما على مجابهة

الحياة، مادامت النهاية واحدة يقول في هذا المطلع:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا *** ولا تبقي خمور الأندرينا.

مشعشة كأن الحصّ فيها *** إذا ما الماء خالطها سخينا.

تَجُورُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ *** إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا.

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍ *** وَأُخْرَى فِي دِمَشْقٍ وَقَاصِرِينَا¹.

تناول الشاعر في مطلع هاته الأبيات، وصف حالته النفسية، وأظهر لهفته إلى التروي والتشبع بها، بما لذ وطاب من أنس، وأكل، وشراب، فهو يأمر الساقية بملء أقداح الخمر، وتقديمها للشاربين، فهذه دلالة عميقة عكس ما كان يختلج بصدر الشاعر، بعد أن بطش "بعمر وبن هند، ورد الاعتبار لقبيلته، وكأن الشاعر يومئ إلى انتقاء غياب وعيه حتى ولو استهلك كمية كبيرة من الخمر، لأن إحساسه الجاد بما هو مقدم عليه يجعل أو يقارب شرابه زمنا للنشوة، وليس زمنا لفقدان إدراكه، وإلى جانب لذة التمتع بالشراب، ترتبت عنها متعة أخرى، تجلت فيما تستهويه العين، من مواصفات تحدد تركيب السائل ولونه، فحاسة البصر تعد ضربا من اللمس، فهو أدق، الحواس وأكملها، وأمتعها، فهو يمد العقل بأكبر قدر ممكن من الأفكار، وأكثرها تنوعا ويلتقط من بعد شاسع.

¹ - المرجع نفسه، ص 109، 110.

« الأجواء النفسية التي يعيشها الأعشى المولوع بالخمير، والنساء، عندما يعمد إلى توظيف ريق حبيبته، وجعله سندا يستند إليه، لسرد مظاهر عشقه للخمر، في لوحة يجمع فيها بين لذة الإحساس، بريق الخوذة حيث تستسلم للرقاد، خمر معتقة، فيشبه رضابها وقد رطب شفيتها، بأجود ما تنتجه كروم فلسطين، لما لهذا البلد من شهرة كبيرة في عصر الخمر، وهو تشبيه يبدو من عقده مألوفاً لدى بعض شعراء الجاهلية، إلا أن الطريق في هذا التشبيه هو توفيق الشاعر في الربط بين شفتي الخوذة المكتنزتين، النازلتين ببل رضاب الحبيبة، كمصدر للغريزة الحسية، وبين كثافة سائل الخمر الذي يشبه دم اللحم النيئ، مما يفتح أفاق الصورة على إمكانية التأويل الشبقي للغريزة البدائية في إفراطها في المتع الحسية العارمة.

يقول في الصورة الأولى من اللوحة:

وَمِثْلِكَ خَوْدٍ بَادِنٍ قَدْ طَلَبْتُهَا ***
وَسَاعَيْتُ مَعْصِيًا لَدَيْنَا وَشَاتُهَا.

متى تُسَقِّ مِنْ أُنْيَابِهَا بَعْدَ هَجَعَةٍ ***
من اللَّيْلِ شَرِبًا حِينَ مَالَتْ طَلَاتُهَا.

تَخَلُّهُ فَلَسْطِيًّا إِذَا دُقَّتْ طَعْمُهُ ***
على رِيذَاتِ النَّيِّ حَمَشٍ لِنَاتِهَا¹.

الواضح من خلال هاته الأبيات، التي تميل في أبعادها إلى الشبق الجنسي، الذي سيطر على الشاعر، لحظة التذكر، وما وصف الخوذة بالامتلاء والحيوية، وكذا الاكتناز باللحم،

¹ - المرجع السابق، ص 114.

والعافية، إلى جانب نزول الرضاب بين المشبقتين، إلا ملامح تدل على ما كان عليه في حالة طغيان الشهوة. « وزيادة الحالة تجليا في الصورة الثانية من اللوحة، والتي يقول فيها:

وَكَأْسٍ كَمَاءِ النَّيِّ بَاكَرَتْ حَدَّهَا، *** بِغَيْرَتِهَا، إِذَا غَابَ عَنِّي بُغَاثُهَا.

كُمَيْتٍ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فَوْقَ كُمْتَةٍ *** يَكَادُ يُفْرِي الْمَسْكَ مِنْهَا حَمَاتُهَا.

وردتُ عليها الرِّيفَ حتى شربتها *** بماءِ الْفُرَاتِ حَوْلَنَا قَصَبَاتُهَا.

لَنَا مِنْ ضُحَاهَا خُبْتُ نَفْسِي وَكَأْبَةٌ *** وَذَكَرِي هُمُومٍ مَا تَغَبَّ أَدَاتُهَا.

وعندَ الْعَشِيِّ طَيْبُ نَفْسِي وَلَذَّةٌ *** وَمَالٌ كَثِيرٌ غَدَوَةٌ نَشَوَاتُهَا.

على كلِّ أحوالِ الْفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا *** غَنِيًّا وَصَعْلُوكًا وَمَا إِنَّ أَقَاتُهَا»¹.

إن الشاعر هنا لا يعيش لحظة الآنية فحسب، بل يطلبها من خلال استرجاع ذاكرته لأيام الريف، أين تكون الخلوة مناسبة لحالته الرومانسية، لذا يسرع في طلبها في جميع أحواله، يشربها غنيا مرفها، كما يشربها فقيرا معدما، هنالك قرب نهر فرات، حيث يتفجر كيانه سعادة يستعين بها عن النساء، وبالذات عن جسد المرأة، فالموضوع المركزي الذي يمكن أن يشغله عن النساء، هو تأثير الخمرة، وما تشيع في كيانه من النساء، يوقظ كامل مشاعره، ويشحذ ذاته بقوة الشباب، فجوارح الشاعر كلها قد أسهمت في تصوير مجلس

¹ - المرجع السابق، ص 114.

الشراب، إذ التحمت الحواس في نمط واحد وهو نمط التجارب مع المتعة الكاملة، التي شملت الشاعر لحظة التذكر إلى تجدد هذه اللحظات.

إذن، يمكن أن نجمل القول، أن الأدب الخمري عامة، هو أدب وجودي، إذ جاز التعبير، أي أنه يبين قلق الإنسان وحيرته، من حقائق المصير، والتصرف، يتأملها ويحذف فيها، لكنه لا ينفذ منها إلى يقين دائم، فيتردى في المجون، وهو وجه من وجوه العبث الذي يتخبط فيه الإنسان، بعد أن تستحيل عليه الحقيقة... وبصرعه اليقين، بل يسحقه، فيحاول الهرب منه، من ذاته، يسعى إلى تخدير وعيه، فلا يعثر إلا على الخمرة، فهي إلى تमित حسه بذاته، وبشعور الرعب¹.

خصائص ومميزات المقدمة الخمرية:

- 1- أن الخمرة بالنسبة للشاعر، تعبير عن سمو المكانة الاجتماعية، وهي سلوك لإقبال على مباحج الحياة بكل أبعادها، وتعبير عن إحساسه المشرق إزاء الوجود.
- 2- ملمح من ملامح البذخ، الرفاهية، وإبراز الرجولة، والسخاء².
- 3- تعد محطة أساسية يسترجع فيها الشاعر أنفاسه، لينعم بحياة سعيدة.

¹ - ينظر: رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، ص 210.

² - ينظر: إرجاء أحمد صادق، الخمريات في العصر الأموي، ص 42.

- 4- أن الشعر الخمري الجاهلي، شعر حماسي، يدور محوره حول الفخر، الفخر بالوصول إلى اللذة، الفخر بشراء الخمر الغالية، الفخر بمنادمة الملوك، الفخر بدخول الحانات القليلة، والتلذذ بأطيب أنواع الخمر.
- 5- إن لذة الشاعر الجاهلي كانت تركز على ثلاثة عناصر هي: المرأة، الخمر، وممارسة البطولة، غير أن لذة الخمر قد تطفئ على غيرها من اللذات.
- 6- تصوير الشاعر للحظات السعادة، ما هو إلا شعور باطني، يعكس ما بداخله من ضرورة التغلب على مكاره الحياة، بما يمكن أن يقاطبها من تفاؤل، وإقبال على الحياة، من غير تردد ولا اكتراث.
- 7- تكشف الخمرية عن تمادي الشاعر في ملء من ينابيع المتعة، وكإصرار واضح على مقاومة ما يعتريه من شعور داخلي كوسيلة فنية تمكنه من تجاوز حالته النفسية¹.
- 8- المقدمة الخمرية هي الملمح الذي يكشف بجلاء رؤية الشاعر التفاضلية إزاء ماضيه وحاضره.
- 9- زمن معاقرة الخمر الذي عاشه الشاعر، هو تمجيد للمتعة، اللذة عند الشاعر، هي التي تستجيب له بكل نزواته العضوية والروحية.
- 10- المقدمة الخمرية تنسي الشاعر اللحظات المؤلمة.
- 11- المقدمة الخمرية هي تصوير لعالم الخيال والنشوة، المحببة للشاعر.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 43.

12- المقدمة الخمرية تعد سببا في جعله بطلا مغوارا، ووسيلة لتحقيق أمنيات لا

يستطيع تحقيقها في أرض الواقع.

13- يلجأ الشاعر إلى التعبير عن الخيال والأمنيات التي تعترتهم أثناء معاقرتهم

للخمر.

14- نشوة الشاعر أثناء شربه للخمر تزيده إصرارا وإقداما، على مجابهة الحياة.

15- الخمرة تذكره بالحببية، وتشبيهه ريقها بطعم الخمرة، والخمرة نفسها تواسيه من

ذكرها ونسيانها¹.

16- السعي وراء اللذة، والميل الغريزي للمرأة.

17- شرب الخمرة يساعد الشاعر، في إظهار قدرته وسيطرته على كل شيء.

18- تشبيه أماكن الشرب واللهو بميدان الفروسية والمبارزة.

19- الشعر الخمري، هو شعر الإلهام والإبداع.

20- وسيلة للهروب من الواقع المؤلم، اليأس المحاط من كل جانب، منتفضا عليه

بألوان وصور شتى منها هذه العادة الشرب، والإدمان، بسبب ما توفره له من تحذير لمعالم

الوعي، والإحساس عنده بالعالم الخارجي.

21- وسيلة لعلاج الهموم والأتراح.

22- الهروب إلى عالم النشوة واللذة، ليؤنس ذاته بلحظات الفرح، فهي جزء من

حياتهم، وأداة مرح لطرد الهم والغم.

¹ - ينظر: باديس الفوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص 2016.

- 23- وجدوا فيها حياة يتلذذون بالعيش فيها.
- 24- البحث عن اليقين، واللهو والطمأنينة، والاستقرار، الإنشاد بملذات الدنيا والدعوة إلى التمتع بالخمر والنساء، قبل أن يدركه الموت، فهي صورة من صور الكرم، والسخاء¹.
- 25- تعد المقدمة الخمرية، لون ومعنى لحياة البادية العربية.
- 26- مظهر من مظاهر الرجولة وسمو القدر.
- 27- وسيلة للتفاخر والغلو، وعظم الشأن.
- 28- مادة للهو والعبث.
- 29- شاطرت المرأة الخمرة، في جانب شغف الجاهلي والتوله بها.
- 30- أن الشاعر الجاهلي يبث شجنه في الإدمان، هاربا من ألم الحب².

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 217، 218.

² - ينظر: المرجع السابق، ص 217، 218.

تعتبر المقدمة الطللية البكاء على فراق الأحبة والأهل، فقد كانت بجانبها المقدمة الخمرية هي أيضا تعبر عن الأطلال إلا أن الشاعر يكون في حالة لا وعي، وقد اوجه تشابه ونقاط مشتركة وهي:

أوجه التشابه:

- 1- كلاهما يدعوان إلى التمسك بالرغبة في الحياة والاستقرار بين أحضانها.
- 2- كلاهما يولدان الشعور بالخوف من المستقبل.
- 3- يرمزان ويدعوان الشاعر إلى استذكار اللحظات السعيدة مع الأهل، والخلان، والتعبير عن الوحشة إليهم وتذكر أيامهم وجلساتهم.
- 4- كلاهما يوحيان: بالحرمان، والقلق، الاشتياق، الضياع، والحيرة أمام فكرة الوجود التعجب وأمام فكري الموت والحياة.
- 5- يعيدان الشاعر إلى تذكر أيام الصبا والشباب، والفتوة.
- 6- كلاهما يعبران عن إحساس مشرق، إزاء الوجود.
- 7- كلاهما شعور يعكس ما بداخل الشاعر من ضرورة التغلب على مكاره الحياة.
- 8- يذكران بالمرأة (المحبوبة)، والأيام التي جمعتها معا.
- 9- كلاهما يساهم في نسيان الشاعر اللحظات المؤلمة.
- 10- كلاهما يصوران للشاعر عالم الخيال والنشوة المحببة إليه.
- 11- إعادة واسترجاع لذكريات ماضية، أيام صباه وشبابه.

- 12- كلاهما يساهمان في تعاض الشاعر من واقعه.
- 13- كلاهما يزيدان الشاعر إصرارا، وإقداما على مقاومة الحياة.
- 14- يذكران بالحببية وأيامها، والميل الغريزي إليها.
- 15- يبحثان عن اليقين والهدوء، والطمأنينة، والاستقرار.
- 16- يشكلان لونان من ألوان الحياة البادية العربية.
- 17- كلاهما ساعدا على تلمس بعض جوانب صيرورة الحياة الإنسانية، المتسمة بالحركية في الجزيرة العربية.
- 18- كلاهما لهما علاقة خفية تعكس آلية الانجذاب إلى الماضي.
- 19- كلاهما يرجعان إلى الإحساس المتفرد لمشكلة الوجود التي تتصل بالفناء والفناء، والتناهي...
- 20- كلاهما لحظة تأمل الشاعر في ذاته، حيث يستعيد في هذه اللحظة التأملية كل ما.
- 21- مضى كلاهما تنهضان بوظيفة شعرية تزود الشاعر بزاد من المشاعر تهيئه فكريا ونفسيا.
- 22- كلاهما يؤديان وظيفة خلق الجو الشعري، الذي يمنح الشاعر القدرة على القول.
- 23- كلاهما اتجاهاً لإرضاء الذوق العام، وتلبية الشرط الشعري.
- 24- كلاهما يبرزان مظهر الدفاء، والحنان، اللذين يعودان إليهما كلما افتقدا أو افتقرا إحساسهما اتجاه الحياة.

25- يمثلان صورة من صور العلائق النفسية، والمادية المتواترة بينهما وبين الشاعر.

26- يرمزان إلى الفناء والعفى، والحب الذي يولد التفاؤل بالحياة.

فهناك تشابه بين المقدمة الطللية والخمرية، «فقد تشير معمارية المعلقة تشير معمارية المعلقة إلى حضور مقدمتين، الأولى طللية، والثانية خمرية، وقد كانت هذه الإزدواجية مثار كثير من الشكوك التي حامت حول المعلق ككل، أو حول مقدمتها تحديداً، ويكاد ترجيح الدارسين ينتهي إلى أن المعلقة قسمان: قسم قاله في التحاكم والمفاخرة بين بكر وتغلب، وقسم نظمه بعد قتله عمرو بن هند¹»، مما يعني ذلك أن كل مقدمة من المقدمتين هي جزء أصيل من أحد قسمي المعلقة.

فالمقدمة الطللية والخمرية يشتركان في موضوع واحد ويعالجان فكرة واحدة «إن مقدمة الشاعر الخمرية، والتي تبدو منذ الوهلة الأولى بأنها تجاوز للتقليد السائد، وخروج عن المقدمة الطللية المكرسة في الإبداع والتلقي معاً، تبدو بمقابل ذلك أيضاً، وكأنها مجرد تنويع على فكرة الطلل، التي تم استبدالها هنا بالخمر، على الرغم من أن النتيجة التي تنتهي إليها هذه الخمر، لا تكاد تختلف عن تلك التي ينتهي إليها الطلل²»

مما يعني أن كلا من المقدمتين الطللية والخمرية لهما مصب واحد يصب في وعاء الطلل

يقول عمرو بن كلثوم:

¹ خميسي آدمي، المرجعية المعرفية للمقدمة الطللية بين الجاهلية وصدر الإسلام، دراسة في النسق الثقافي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي، اشراف عبد القادر دامخي، جامعة باتنة، 2017، ص: 152

² المرجع نفسه ص: 153.

ألا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَأُصْبِحِينَا
ولا تَبْقِي خَمُورَ الأَنْدَرِيْنَا
مُشْعِشَةً كَأَنَّ الحُصَّ
إذا ما الماء خالتها سخينا
تحور بذى اللبابة عن هواه
إذا ما ذاقها حتى يلىنا
ترى اللجز الشحيح إذا أمرت
عليه لماله فيها متتهينا
كأن الشهب في الأذان منها
إذا قرعوا بحافتها الجبيننا
صبت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليميننا
بصاحبك الذي لا تصبحينا
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو
وكأسٍ قد شربتٍ ببغلتك
وأخرى في دمشق وقاصرنا
إذا صمدت حُمياها أريبا
من الفتيان خلت به جنونا
فما برحت مجال الشرب حتى
تغالوها وقالوا قد رويننا
وإنا سوف تُدرِكنا المَنايا
مُقدِّرةً لنا ومُقدِّرةً لنا¹

وفي جمهرة أشعار العرب تختتم هذه المقدمة بالبيت

وإنَّ غَدًا وَأَنَّ اليَوْمَ رَهْمُنُّ
وَبِغَدٍ غَدٍ لَّا تَعْلَمِينَ²

ففي هذا البيت قد تكون المقدمة الخمرية في القصيدة العربية ، قد امتزجت بالطلل.

1 عمرو بن كلثوم ، الديوان ، ص:66.

2 أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ص: 140

عرف الشعر الجاهلي الكثير من القصائد فمنها طللية ومنها خمرية فالمقدمات الطللية في الشعر الجاهل كثيرة ومتعددة المواضيع، وفي اتجاه آخر نجد المقدمة الخمرية وقد توجد بينهما أوجه اختلاف وهي:

أوجه الاختلاف:

- 1- المقدمة الطللية يكون الشاعر في حالة صحو.
- 2- غير أن المقدمة الخمرية يكون الشاعر فيها غير واعي.
- 3- المقدمة الطللية تعبر على الدمن والديار.
- 4- غير أن المقدمة الخمرية تدعو إلى التغني والتلذذ بالحياة.
- 5- المقدمة الطللية تجعل الشاعر يتألم من الفراغ الذي يعيشه.
- 6- بينما المقدمة الخمرية تملئ فراغه بالخمر والميسر للإبتعاد عن كل ما يعكر حياته.
- 7- المقدمة الطللية تجعل الشاعر يعبر عن أحزانه دون القيام بأي تغيير.
- 8- غير أن المقدمة الخمرية تدعو إلى نشوب الحروب بين القبائل من أجل الحبيبة.
- 9- المقدمة الطللية كانت سائدة في البادية.
- 10- بينما المقدمة الخمرية كانت في الحضر لأن ظروف حياتهم مواتية لعقد مجالس الخمر واللهو.
- 11- المقدمة الطللية مظهر من مظاهر الحب والتغزل.
- 12- غير أن المقدمة مظهر من مظاهر الكرم وحفاوة الإستقبال.

13- المقدمة الطللية تمثّل عالم الجذب والجفاف.

14- المقدمة الخمرية تمثل عالم الرّواء والإخضرار.

ويكمن الاختلاف هنا في معلّقة " لبيد بن ربيعة العامري"، فمقدمته كانت طللية وفي العرض أصبحت خمرية، ففي المقدمة يقول:

عَفَتِ الدِّيارَ محلها فمُقامُها¹ بمنى تأبَدُ غولها فرجامُها¹

فليبد هنا يعبر عن الأطلال وما آلت إليه جراء السيول، وكيف أصبحت الديار بعد أن أصابها انهيار وزوال، والبكاء على فراق الحبيبة والأهل.

فهنا يعبر عن الأطلال، أما في نفس القصيدة فقد يختلف من الطلل إلى الخمرة، إذ أنه يمجّد شرب الخمرة والإفتخار بها، وهي تمثل أيضا مظهرا من مظاهر الرجولة فيقول:

قد بت سامرها، وغاية تاجر² وافيت إذ رفعت وعز مدامها²

ففي قوله "التاجر" يقصد به الخمار و"الغاية" هي العلامة ينصبها ليعلم مكانه، "وافيته" يقصد بها أتيته ليلا فابتعت منه خمر³.

نلاحظ بأن الشاعر "لبيد بن ربيعة العامري" هنا يتحدث عن الخمرة ووقت شربها، بحيث يشربها في الليل، فقد اختلفت قصيدته بين الطللية والخمرية اضافة إلى الشاعر "امرؤ القيس" هو ايضا قد امتزجت قصيدته بالخمرة والطلل، ففي مطلع قصيدته كانت طللية واختلفت في

العرض إلى خمرية فيقول:

¹ ديوانه ص:34.

² المرجع نفسه ص: 175

³ الموقع الإلكتروني <http://hanialtanbour.com/poems/37.html>

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل¹

هنا يدعو تذكر الحبية والديار، فقد وقف واستوقف، وبكى واستبكى فقد كان متحسرا على فراق الأحبة والشوق لتلك الأيام الغلية والثمينية، فحسب نفسيته لو كان ذلك الزمان قد يرجع بالثمن لدفع كل ممتلكاته لإسترجاع تلك الذكريات الشيقية، ثم ينتقل من الطلل إلى استحضار الخمرة والتي تدل على تغيير الشعور من الحزن والقلق إلى الفأول ونسيان تلك الآلام والمكبوتات فيقول:

لا تسقني الخمرة إن لم يروا قتلى فناما بأبي الفاضل²

فهو فخور بشربها ، لأنها على الشجاعة والإفتخار، وعلى الكرم وحسن الضيافة فمعلقته أيضا كانت كلماتها ومعانيها مختلفة بين الأطلال والخمرة ، فلاختلاف هنا واضح بين المقدمة الطللية والخمرية

فالعلاقة بين المقدمة الطللية والمقدمة الخمرية علاقة ضدية لأنه « لايمكن أن يتماهى الطرفان أو يتعالقان كنسقين يصلان في نهاية المطاف إلى نتيجة واحدة .

تقدم الأبيات الأخيرة من مقدمة عمرو بن كلثوم ... فقد حرص الشاعر من خلال الخمرة أن يوهنا بأنه تحرر من همّ الوجود والمصير ومن أسئلة العدم والفناء، انطلاقا من قدرة

1 الموقع الإلكتروني <http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=14324>

2 رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، دار الينابيع، دمشق، ط2، 2008، ص:201

الخمرة على تشكيل عالم حيوي ومتحرك وفتي ، ... وانتهى فيه الشاعر إلى أن الخمرة قد تكون فعلا قادرة على بناء وعي بالوجود والحياة¹. «

¹ خميسي آدمي، المرجعية المعرفية للمقدمة الطللية بين الجاهلية و صدر الإسلام ، دراسة في النسق الثقافي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي، اشراف عبد القادر دامخي ، جامعة باتنة ، 2017، ص: 157

خاتمة:

ختاما لما توصلنا إليه، يمكننا القول بأن الدراسة حول الشعر الجاهلي مفتوحة في حقيقة الأمر، فلا يمكننا التوصل إلى أحكام نهائية فهي مجال مفتوح، إضافة إلى ذلك أن الأحكام التي نصل إليها تبقى نسبية وقابلة للنقاش والدراسة من جوانب مختلفة.

ومن خلال دراستنا المتواضعة توصلنا إلى نقاط تتمثل في:

أن الشعر الجاهلي تُبنى قصائده على المقدمة الطللية والمقدمة الخمرية، بحيث تتجسد في تلك الرغبات المكبوتة للشاعر ، وذلك للتعبير عن أحاسيسه وآلامه.

إن المقدمة الطللية والمقدمة الخمرية كلاهما ركيزتان أساسيتان في الشعر، ولكن نلاحظ بأن المقدمة الطللية تغطي كثيرا على المقدمة الخمرية، أي أن شعراء المقدمة الطللية موجودون بكثرة على غرار شعراء المقدمة الخمرية في الشعر الجاهلي

إن المقدمة الطللية أسالت الكثير من الحبر في الصر الجاهلي وهذا ما لاحظناه في الفصل الأول

إن الموازنة بين المقدمتين الطللية والخمرية كلاهما يدعوان الشاعر إلى استنكار اللحظات السعيدة مع الأهل والخلان والتعبير عن الوحشة.

أن المقدمة الطللية يكون الشاعر في حالة صحو، غير أن في المقدمة الخمرية يكون فيها الشاعر في حالة لاوعي.

إن قانون المقدمة في الشعر الجاهلي، كان مُطبَّقاً على جميع الشعراء، والتي أثارت الإحساس بالقلق في نفسية الشاعر.

إن المقدمة الخمرية في الشعر الجاهلي قد ارتبطت كثيرا بشعراء الخمرة، حتى أصبحت عند بعضهم من أهم ضروريات الحياة، فأصبحوا يمجدها ويفتخرون بشربها وبأفضل النوعية، وهذا ما نجده في معلقة "عمرو بنو كلثوم".

أن المقدمة الطللية والمقدمة الخمرية أصبحتا وسيلتان يلجأ إليهما الشاعر عندما يكون في حالة ألم وحسرة للتعبير عن ما بداخله.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - حمد مهداوي، جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم، مقارنة تحليلية خميرية، حسان في فتح، وبردة كعب بن زهير في مدح الرسول-أنموذجين - ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
- 2 - امرؤ القيس شاعر المرأة و الطبيعة، إيليا الحاوي، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1970.
- 3 - رعد أحمد علي الزبيدي، في الشعر الجاهلي، دار الينابيع، دمشق، ط2، 2008.
- 4 - أحمد محمد شاكر، الشعر والشعراء، دار المعارف، مصر، 1966.
- 5 - منذر زيب كفاي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، دراسة في الشكل والمضمون، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن.
- 6 - زياد أحمد أبو شريعة، خصائص الشعر في التفسير، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2014.
- 7 - ينظر: محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي، دراسة جمالية، دار الوفاء، د.ط، 2003.
- 8 - عبيد بن الأبرص، الديوان، ت، حسين نصار الحلبي، طبعة الحلبي، 1957، و طبعة دار بيروت للطباعة و النشر، 1979.
- 9 - باديس فوغالي، المكان و الزمان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2007، 1، 2008.
- 10 - ينظر: علي الجندي، في تاريخ الأدب العربي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 1998.
- 11 - إرجاء أحمد صادق، الخمريات في العصر الأموي، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
- 12 - إيليا الحاوي، في الشعر الخمري تطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1981.

- 13- ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، دار صادر، بيروت، طبعة ليدن، ابريل ، 1902.
- 14- ناصر الدين الأسد، القيان و الغناء في العصر الجاهلي، بيروت، لبنان، دط.
- 15 حسين عطوان ،مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، 1970.
- 16حسن مسكين ، الخطاب الشعري الجاهلي ، رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة 1، بيروت ، لبنان ، 12005
- 17أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، ط1، 1952.
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء.
- 18عروة بن الورد ، الديوان.
- 19الشنفرى ، الديوان.
- 20 يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1982.
- 21 الأعشى، الديوان، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

المواقع الالكترونية

16 جويلية 2017 الساعة 10:46 دقيقة Gahiley.blogspot

16 جويلية 2017 الساعة 10:20 دقيقة Forum.wrdsha.com

المذكرات:

خميسي آدامي ،المرجعية المعرفية للمقدمة الطللية بين الجاهلية و صدر الإسلام، دراسة في النسق الثقافي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي، اشراف عبد القادر دامخي ، جامعة باتنة ، 2017.

فهرس الموضوعات

أ	مقدمة
08	مدخل
الفصل الأول: المقدمة الطللية والخمرية في الشعر الجاهلي	
19	المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي
26	أنواع المقدمة الطللية
26	1- المقدمة الغزلية
29	2- مقدمة الطعائن
32	3- مقدمة بكاء الشباب
37	أبرز شعراء المقدمة الطللية
46	مميزات وخصائص المقدمة الطللية
الفصل الثاني: أوجه التشابه والاختلاف بين المقدمة الطللية والخمرية في الشعر الجاهلي	
77	أوجه التشابه
81	أوجه الاختلاف
86	الخاتمة
88	قائمة المراجع

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى المقارنة بين المقدمة الطللية والمقدمة الخمرية في الشعر الجاهلي ، اللتان شكلتا متناً شعرياً ، والعودة إلى العصر الجاهلي وعن أهم المواضيع التي عاشها الإنسان الجاهلي ، فتبين لنا أوجه الاختلاف وأوجه التشابه بين المقدمتين في الشعر الجاهلي ، وقد قارب البحث جملة من القصائد التي تعبر عن الأطلال ، بالإضافة إلى القصائد الخمرية في الحاهلية والتي كانت ضئيلة مقارنة بالمقدمة الطللية ، لأن معظم الشعراء في الجاهلية تناولوا قضية الأطلال.

Le résumé

Cette étude a pour but de comparer l'introduction ruinée et l'introduction alcoolique dans la poésie d'al-jahali (pré-islamique) qui ont formé une essence poétique ainsi que le retour à l'ère pré-islamique

selon cette étude on a trouvé les différences et les similitudes entre ces deux introductions dans la poésie pré-islamique Cette recherche a approché un ensemble de poèmes sur les ruines en plus des poèmes alcooliques d'al-jahiliyah

qui étaient très faibles par rapport à ces derniers parce que la plupart des poètes de la jahiliyah abordaient le problème des ruines